7me Année No. 292

Lundi - 6 - 2 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٢٩٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٧ ذو الحجة سنة ١٣٥٧ — الموافق ٦ فبراير سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــــرس

كيف نعالج الفقر ؟

سؤال طالما وقع فى رَوْع النبيين والمصلحين والفلاسفة ممن يملكون القول والدعوة ، ولكنه لم يدرْ أبداً بخَلَد الأمير فلان والباشا علاّن والبيك ترتان ممن يملكون الفعل والتنفيذ . ومن بدائه العقل أن يفكر الأنبياء والحكماء فى معضلة الفقر ، فإنهم نشأوا فى مهده الخشن ، ودرجوا فى فنائه الضيق ، وعاشوا فى مرعاه الجديب ، ورأوا بأعينهم العَبْرى أثقال العيش تنوء بالظهور الضعيفة فتسقط فى طريق الحياة عرضة لزواحف الرذيلة وجراثيم المرض . ومن بدائه العقل كذلك أن تبقى معضلة الفقر من غير حل يطهر الأرض من سمومه ، وينقذ الناس من همومه ؛ فإن أرباب الحكم والتشريع والتنفيذ هم من سلائل النعمة وكناز المال ، فلا يخطرون ببالهم الفقر ، ولا يحطبون فى حبالهم الفقير ؛ وهم يظنون إذا محا الإحسان الفاقة ، ونفى التعليم الجهالة ، أنهم لا يجدون الخدم ولا يملكون العبيد ؛ والجاه من غير أذلاء زفة من غير نظّارة ، والمال من غير فقراء مُلك بلا رعية

من أجل ذلك كان الفزع إلي الأقوياء والأغنياء من عوادى الفاقة تزييفاً على الطبع وتكليفاً بالمحال . ومن أجل ذلك كان تنظيم العلاقة بين القوة والضعف ، والغنى والفقر ،

عملاً من أعمال الله وحده، يرقُّ عليه النفوس، ويرفع به الإنسانية، ويجمّل به الحياة. فإذا حار بنا الفاقة بسلاح الاقتصاد المحض كسنِّ النظم، وتوسيع الموارد، وتوزيع العمل، وأغفلنا أثر الحظوظ والميول والأحوال والأعراض في حياة المرء، قتلنا الفقر بقتل الفقير، كما يقتل الطبيب المرض بقتل المريض. إنما يحارَب الفقر بسلاح الدين ليس غير. وسلاح الدين في مجاهدة البؤس أنه يجعل للفقير في مال الغني حقاً معلوماً لا يصح إسلامه إلا باعتقاده وأدائه؛ وأنه يقوى الإنسانية في الإنسان حتى يشعر بالأخوة لكل مسكين، وبالرحمة لكل بائس. وبقوة الإنسانية وحدها في الدول المتدينة كانجلترا وأمريكا أوشك البؤس أن يزول، فوجد كل مريض مستشفى، وكل هرِم ملجأ، وكل يتيم مدرسة. وقد بلغ ما أنفقته الحكومة الانجليزية على أعمال البر في سنة من السنين ثلثمائة مليون جنيه، ولا يقل ما يتبرع به الشعب البريطاني للمستشفيات وحدها عن خمسين مليون جنيه في العام!

***

الدين هو الطب الوحيد لأدواء المجتمع؛ فإذا غرستموه في قلوب النشء، وقويتموه في نفوس الشباب، جعل من الأمة أسرة متماسكة البناء، متضامنة الأعضاء، يعين سعيدها الشقي، ويحمل قادرها العاجز، حتى يقطعوا مراحل الحياة رافهين لا يمسهم نصب، ولا تجافى بينهم عداوة

مَن غير الله يستطيع أن يرقق هذه الكبد الغليظة في هذا الغنى المبطان الذي غلا في الكبر، ولج في الهوى، وذلّل نفسه على ذل الناس، وأمسك رزق الله في خزائنه فلا يطلقه إلا لشهوة أو نزوة؟

من غير الله يستطيع أن يقلّب العِبر على عيني هذا المغرور فيريه بالثكل والمرض والهم أن الراحة في النفس ألذ منها في الجسم، وأن الجمال في الرحمة أسمى منه في الجبروت، وأن السعادة في الإعطاء أعظم منها في الأخذ، وأن خير ما في الدنيا هو ما انتقل معه إلى الآخرة؟

هيهات أن يكون في الأرض إيمان ما دام في الأرض فقر. فإن أسباب الفقر ممدودة من الطمع والشح والأثرة؛ وهذه الخلال السوء لا تطمئن عليها نفسٌ مؤمنة. وإن من ضلال الأفهام أو الأقلام أن نعالج الفقر على أنه ناجم من ندرة العمل في البلد أو قلة الخير في الدنيا، فإن العمل ميسور للقادر، ورزق الله موفور للحى. وإذا شكت الأمم اكتظاظ العامل ونضوب الموارد وضيق الرقعة، فإن مصر الجديدة البكر بينها وبين هذه الشكوى أن تمصِر المصانع والمعامل والمتاجر والمصارف والشركات، وما بالقليل ذلك

***

لا تطلبوا من الفقير العمل قبل أن توفروا له القدرة عليه. إنه جاهل فاشرعوا له منهل العلم؛ وإنه عليل فانهجوا له سبيل الصحة؛ وإنه معدم فدبروا له رأس المال. ومن بلادة الحس أن الغني يسمعك وأنت تقرأ هذا الكلام، فلا يظن المخاطَب به أحداً غير الحكومة، فيشارك في النقد، ويسرف في الإنكار، ويلح في الطلب، لأن الحكومة في رأيه يجب أن تلبى كل نداء، وأن تؤدى كل واجب. والحكومة لو درى هذا المتواكل القدم لا تتسع مواردها بكل رغبة؛ فإنها لم تجبُ منه ومن أمثاله إلا حق العمارة والأمن؛ أما حق الله عنده فقد وكلت أداءه إلى ضميره، يعطيه من يشاء متى يشاء وكيف يشاء؛ ولكن الضمائر نامت على هدهدة الشهوات، والعواطف قست على جفاف المادة؛ وبين غفوة الضمير، وقسوة العاطفة، ذهب وازع الدين فلم يبق إلا وازع السلطان

فهل يفكر أولو الأمر أن يعالجوا الفقر بما عالجه الله به فيجبوا الزكاة وينظموا الإحسان؟ إنهم إن يفعلوا ذلك لا يجدوا في البيوت عائلاً، ولا في الطريق سائلاً، ولا في السجون قاتلاً، ولا في المواخير ساقطة!

احمد حسن الزيات

مشـــابهات

للأستاذ عباس محمود العقاد

فى شهر واحد عرضت دور الصور المتحركة بالقاهرة روايتين متشابهتين فى كثير من السمات والمعانى ، وإن كانت إحداهما فى باريس والأخرى فى بتروغراد ، أو كانت إحداهما فى القرن الثامن عشر والأخرى فى القرن العشرين ، أو كانت إحداهما عن لويس السادس عشر والأخرى عن القيصر نقولا الثانى

كتبنا مقالنا الماضى بالرسالة عن « مارى أنطوانيت » فلم تمض أيام حتى شهدنا رواية « راسبوتين والقيصرة » وشهدنا كيف تتشابه الحوادث والنكبات ، وكيف يصدق فى بعض الأحايين قول من قال إن التاريخ يعيد نفسه ، وإن كانت الإعادة لا تخلو من تبديل وتنقيح : شيمة الراوية الماهر الذى لا يعيد القصة الواحدة مرتين بأسلوب واحد !

***

فى مأساة لويس السادس عشر ومأساة نقولا الثانى مشابه كثيرة يرجع بعضها إلى المصادفات وبعضها إلى تشابه النتائج عند تشابه الأسباب

فكانت لكليهما ملكة أجنبية من أصل ألمانى ، وكانت لكلتا الملكتين يد فى الكارثة التى حاقت بالرجلين ، وكان التاريخ فى كليهما يجرى على سنة « الآباء يأكلون الحصرم والأبناء يضرسون » ولا يعمل بآية العدل فى القرآن الكريم : « ولا تزر وازرة وزر أخرى »

فقد كان نقولا الثانى مظلوماً فيما أصابه كما كان لويس السادس عشر

كان كلاهما طيباً رؤوفاً يريد الخير لشعبه ؛ وكان نقولا الثانى محباً للسلام ينادى بالتحكيم فى الأزمات الدولية ؛ وكان يجنح إلى مشاركة الأمة إياه فى تبعات الحكم ما استطاع ، وكان منقاداً لمن حوله كما كان لويس من قبله ، ولم يكن مشاكساً ولا بطاشاً يحب الفتك وسفك الدماء ، ولكنه جاء فى زمن وبيل فأصابه وبال الزمن وأخذه مع التيار الجارف الذى لا يتأنى ولا يتدبر فى حكمه على الجناة والأبرياء

ليست هذه هى المشابهات الهامة فى تاريخ الرجلين المظلومين ، فربما كانت أو كان معظمها من أثر العوارض والمصادفات ، ولكن المشابهة العظمى هى تلك « الحالة العقلية » التى تحيط بالعوالم المنهارة والدول الدائلة والكواكب الآفلة ؛ ونعنى بها العهود التى تجمع بين الإدبار والإقبال وبين النظر إلى الغيب والخوف من الحاضر وقلة الاطمئنان إليه

فى تلك العهود يحس الناس أنهم ضعاف عاجزون ، لأن زمام الحوادث يفلت من أيديهم وتيار الحوادث يجرفهم على غير إرادتهم إلى غير الطريق الذى يختارونه لأنفسهم ، فهم من أجل هذا الإحساس بالعجز والضعف ينظرون إلى الغيب ويتطلعون إلى عالم الأسرار ويؤمنون تارة بالقديسين وتارة بالشعوذين ، على قدر نصيبهم من العلم والبصر بحقائق الحياة

وفى تلك العهود يضمحل الأمل ويغلب اليأس ويبطل الإيمان بالمثل العليا والصفات الرفيعة فيقبل الناس على المتعة والسرور ، ويأخذون من الحاضر كل ما يعطيهم من اللذة واللهو ، لأنهم لا يرجون غداً ولا يركنون إليه

وقد يجمع النفس بين النقيضين : فهى مغراة بالشعوذة والنظر إلى المغيبات المجهولة ، وهى مغراة باللذة فى حاضرها ؛ لأن الحاضر بغير شاغل من الشواغل لا يطاق فى أمثال تلك الأزمان

إنما المرجع فى طلب الغيب وطلب اللذة معاً إلى سبب واحد ، وهو أن الحاضر مشؤوم والمستقبل غير مضمون ، والإنسان بينهما عاجز عن التصرف بمشيئته فيما يزاول من كبار الأمور وصغارها على السواء

***

من أجل هذا ظهر « كاليسترو » الدجال الأعظم فى عهد لويس السادس عشر

ومن أجل هذا ظهر « راسبوتين » الدجال الأعظم فى عهد نقولا الثانى

وكلاهما دليل على تشابه الحوادث والدوافع النفسية بين بنى الإنسان

وكلاهما دليل على أن التشابه فى بنى الإنسان لن يمحو الفوارق بين الشعوب ، ولن يزيل الخصائص القومية التى اشتهر بها كل شعب من تلك الشعوب

فراسبوتين لم يكن يصلح فى مكان كاليسترو ... وكاليسترو لم يكن يصلح فى مكان راسبوتين

راسبوتين ظهر بين الروس وهم أمة لا شرقية ولا غربية ، لا مؤمنة كل الإيمان بالدين، ولا مؤمنة كل الإيمان بالوثنية ، لا متحضرة بحضارة العلم الحديث، ولا مستغرقة فى البداوة أوجهالة القرون الوسطى

فظهر لما ظهر بين هؤلاء القوم برسالة من الدين ومن الوثنية فى وقت واحد ، أو برسالة من الشعوذة ومن اللذة فى عقيدة واحدة ، أو برسالة يمت بعضها إلى زهادة المسيح ويمت بعضها إلى المزدكية القديمة، وإلى عبادة «عشتروت» التى هى أقدم منها ، وإلى ما قبل ذلك من المذاهب الخفية التى لم تنقطع بقاياها قط فى الرقعة الغربية الجنوبية من القارة الأسيوية ؛ أى فى ذلك المكان المعزول الذى تصل إليه آثار الحضارات جميعاً فى آسيا وأوربا وأفريقية ، ثم يحفظها جميعاً فى عزلته المطوية بعد أن يصبغها بماله من صبغة قلما تمسحها الأجيال

فى تلك الرقعة بقيت عبادة الشيطان ، وبقيت الشواذ من فرق الباطنية ، وبقيت تلك النحلة التى تبيح فى تكاياها وصوامعها باسم الدروشة الإسلامية ما ليس يبيحه الإسلام وليس يرضاه دين من الأديان الكتابية ، وبقيت نحلة « الخليستى » التى انتمى إليها آخر الأمر « راسبوتين » وكانت أصلح ما ينتمى إليه رجل يدل نعته القديم على طبعه القديم . فإن « راسبوتين » كلمة روسية معناها الفاجر أو الداعر ... وهو لقب اشتهر به الرجل فى شبابه من جراء عبثه وعيثه واستهتاره بالشراب والفسوق

ما هى هذه « الخليستية » وما عباداتها وشعائرها المفروضة على أتباعها ؟

هى نحلة مدارها على أن الخطيئة مطلوبة لأن الغفران صفة إلهية فينبغى أن تتحقق لله هذه الصفة التى هى أخص صفات الخالق جل وعلا . وإلا فكيف يكون الله غفوراً بغير الخلائق الخاطئين ؟

ومدارها من جهة أخرى على أن الإنسان يعيش بالروح مع الله ويعيش بالجسد مع الناس ، وأن لله قديسين هم الذين يقودون عباده فى طريق المعيشة الجسدية وفى طريق الغفران . فليس يحق للعبد أن يخطىء وحده بغير قيادة من قديسه المختار

وعلم راسبوتين « سلطانه المغناطيسى » العظيم على نفوس أتباعه فزعم أنه قديس الزمان المرسل من قبل الله لالتماس الغفران ، فبغيره لن يهتدى أحد فى « الطريق » إلى حظيرة الرحمن !

أما هذا « السلطان المغناطيسى » فقد كان فى راسبوتين كأقوى ماعرف فى إنسان من الناس ، حتى بلغ من سطوته أنه سلطه على رجل يمقته وينصب حوله الفخاخ لقتله بالسم أو الخنجر فأنامه وشل حركاته . ولا ريب أن هذا السلطان المغناطيسى مستمد فيه من تلك القوة الحيوانية الهائلة التى أنقذته من السم ومن الخنجر مرتين ، وكادت تنقذه المرة الثالثة لولا إطباق المتآمرين عليه بالعصى والسيوف بعد إطلاق الرصاص عليه وتسميمه بما يكفى لقتل بضعة رجال ، ولا ريب كذلك أن هذا السلطان المغناطيسى هو الذى أعانه على شفاء ولى العهد بالسيطرة على أعصابه وسريرته بعد ما يئس منه الأطباء وأنذروا بموته من أثر سقامه الموروث

* * *

بهذه العدة كان الدجال الروسى يستعد لإنجاز «مهمته التاريخية» فى ذلك العالم المنهار من الدولة الروسية

فبماذا استعد زميله « كاليسترو » من قبله حين تصدى « لمهمته التاريخية » بين الفرنسيين فى عصر الفلاسفة المشككين والدعاة الملحدين الثائرين ؟

لا بد له من عنصر الغيب والخفاء، ولا سبيل إلى هذا العنصر من طريق النحل الدينية فى تلك الآونة الملحدة المستريبة ، فلينقل أتباعه إذن إلى صوامع الماسون وهياكل الجماعات السرية ومكامن الدسائس والمؤامرات

ولا بد له من عنصر الغواية والمتعة، ولا سبيل إليهما من نحلة الدروشة والعبادة ، فليسحر أتباعه إذن باسم عقاقير الشرق التى تجدد الشباب وتطيل العمر وتكسو غضون العجائز مسحة الصبا ورونق الصباحة

وهكذا كان لكل « عالم منهار » دجاله الأعظم ، ومن ثم موضع التشابه بين العوالم المنهارة

وهكذا كان دجال كل أمة على غرارها أو على نموذج أخلاقها وأطوارها ، ومن ثم موضع الخلاف بين تلك الأشباه

وإنما عبرة التاريخ أن نخلص إلى هذه المواضع المتشابهات ، وهذه المواضع المختلفات من حوادث الشعوب فى قبضة القانون الخالد المستتب .

عباس محمود العقاد

ابن الرومي
الشاعر المصور
للأستاذ عبد الرحمن شكرى

يولع الناس فى الحياة عادة، لتسهيل فهم الأنفس والأمور وتبسيطه، بأن يجعلوا لكل نفس أو أمر صفة يرمزون بها أو معادلة أو قاعدة، وفى ذلك أضرار، منها أن العجلة قد ترمز للأمر أو النفس بصفة لا تتفق وأكثر الخصائص المراد تلخيصها بالرمز أو تختلف عنها كل الاختلاف، وإذا تعلق الناس بالرمز صعب إصلاح خطئهم وصعب حملهم على تغيير زيهم وصعب عليهم فعل الأمر الذى يعالجونه أو النفس التى يتفهمونها، أو قد يكون الرمز منطبقاً على جانب صغير منها فيغفل الناس عن الجانب الأكبر. على أن الرمز إذا وافق الجانب الأكبر فهو قد يغرى أيضاً بالغفلة عن الجانب الآخر الذى لا ينطبق عليه الرمز فيتسرب الخطأ فى هذه الحالة أيضاً، ولكن إذا تأنى المفكر فى وضع الرمز واختياره وقدر أن يكون مخطئاً فى بعضه أو كله وحسب حساب ما لا ينطبق عليه الرمز حتى فى حالة الإصابة كان فعله مسهلاً للتفكير والفهم وتذوق الأمور. وعلى هذا الشرط نبيح لأنفسنا أن ننظر إلى كبار الشعراء على ضوء رمز نرمز به إلى كل منهم وصفة نصفه بها، فنقول إننا نتذوق أبا تمام كأنه خطيب عبقرى بصير بأساليب البيان وأثرها فى النفس، جرىء فى ابتداع الأقوال، بصير بما يعالج من أمور البيان بالرغم من جرأته؛ وسواء أكانت أقواله فى أمور حسية أو نفسية فإن كلماته تبلغ صميم القلب بما فيها من الخيال المشبوب وقوة الإيجاز مع الدلالة التامة والإلمام بالمعنى المراد ومع تجنب الإطالة الفاترة. وفنه من هذه الناحية يشبه أيضاً فن صانع القصص التمثيلية فى الاعتماد على قوة الأداء مع صدقه الفنى وإيجازه مع استيفائه المعنى. وندرك على هذا الوصف أن لأبى تمام ولمن نشبهه به جوانب لا يتفقان فيها ولا يلتقيان عليها، لأن النفس الإنسانية تشبه البلَّور ذا الأضلاع والجوانب العديدة التى تنعكس عليها أشعة الشمس فى أشكال وجهات مختلفة متعددة. ونتذوق البحترى كأنه ممثل قدير يلوك حلو الكلام ويتأثر به وينتشى بحلاوة الصنعة حتى تخلق له الصنعة عواطف فنية كما فى حياة بعض كبار الممثلين؛ ونقدر مع ذلك أن لنفسه جوانب أخرى تنعكس عليها أشعة الفنون. ونتذوق الشريف الرضى كأنه موسيقى يحكم الوجدان ويؤثر فى النفس بأنغامه؛ ونقدر أيضاً ما للنفس البشرية من مرام مختلفة. ونتذوق المتنبى على أنه محارب مغامر مدجج بسلاح الحنكة والخبرة والاعتداد بالنفس ونعرف له جوانب أخرى. أما ابن الرومى فإننا قد أدركتنا فى أول الأمر حيرة فى اختيار صفة واحدة له، إذ أنه قد يقف موقف الخطيب المؤثر كما فى قصيدته فى التحريض على قتال العلوى صاحب الزنج بعد أن خرَّب البصرة وهى التى يقول فى مطلعها:

ذاد عن مقلتى لذيذ المنام ... شغلها عنه بالدموع السجام

وابن الرومى مثل أبى تمام مُغْرًى بابتداع التشبيهات والأخيلة والمعانى، ولكنا لم نشأ أن نختار له الرمز الذى اخترناه لأبى تمام لأنه قد يدركه الفتور، وأبو تمام لا يدركه الفتور؛ وقد يطيل حتى يمل سامعه خصوصاً فى المدح، وأبو تمام لا يطيل مثله. وقد تدركه اللجاجة الفكرية فى إيراد الحجة ودفع الحجة بالحجة على طريقة المجادل المناقش المناظر لا على طريقة الخطيب الذى يؤثر بالعبارات والأخيلة المشبوبة النارية المستقلة فى معناها بعضها عن بعض فى إيجازها وتركزها تركز الأحماض أو الروائح العطرية المنعشة أو المخدرة أو المميتة، وابن الرومى يبسط معناه بسطاً كما تتسع دائرة موقع الحجر فى الماء أو كما يبسط الخباز الرقاقة فى قول ابن الرومى نفسه:

ما بين رؤيتها فى كفه كرة ... وبين رؤيتها قوراء كالقمر
إلا بمقدار ما تنداح دائرة ... فى لجة الماء يُرْمى فيه بالحجر

وهذا هو الوصف الذى ينطبق على ابن الرومي نفسه فى صناعة المعانى فكأنه خباز المعانى. ولابن الرومى فى الأهاجى ما هو أشد من الأحماض فتكاً، ولكن أثرها ناشئ أيضاً من تَقَصِّيهِ أجزاء المعنى وصوره المختلفة وتوليد المعنى من المعنى. ولم نشأ أن نصف ابن الرومى بما وصفنا به البحترى الذى ينتشى بما يصوغ من حلوى الصناعة وما يلوكه منها كما ينتشى الممثل بما يمثل من الأحاسيس. لم نشأ أن نصفه بهذا الوصف ولو أنه وصف ينطبق

على كل ذى فن إلى حد ما فهو ينطبق على الشعراء جميعاً ولكن ليس كانطباقه على البحترى. وابن الرومى لا يبلغ به التفانى فى فن الألفاظ وصناعتها والانتشاء بها ما يبلغه البحترى بل يستخدم ابن الرومى الألفاظ استخدام السيد الآمر لعبده محبوباً كان العبد أو غير محبوب؛ أما البحترى فكان لا يقرب الألفاظ إلا كما يقرب المحب حبيبته ولم نشأ أن نصف ابن الرومى بما وصفنا به الشريف الرضى الذى نتذوقه كموسيقى يحكم الوجدان والفطرة السليمة ؛ لم نشأ أن نصف ابن الرومى بهذا الوصف ولو أن له فى الغزل والعتاب والشكوى أشياء عميقة الأثر فى النفس كقوله فى الغزل:

أعانقها والنفس بعدُ مشوقة
إليها وهل بعد العناق تدانى
كأن فؤادى ليس يشفى غليله
سوى أن يرى الروحين يمتزجان

وقوله فى العتاب:

تخذتكم ترسا ودرعا لتدفعوا
نبال العِدَى عنى فكنتم نصالها
وقد كنتُ أرجو منكم خير ناصر
على حين خذلان اليمين شمالها
فإن أنتمُ لم تحفظوا لمودتى
ذِماما فكونوا لا عليها ولا لها
قفوا موقف المعذور عنى بمعزل
وخلوا نبالى والعِدَى ونبالها

ولكنه بسبب لجاجته الفكرية أحيانا وتَتَبُّعِه أو موازنته بين أجزاء المعنى وتلمسه دقائق الصور قد تضيع منه النغمة الشعرية وإن كان شعره يكتسب ميزة أخرى. وقد أحس ابن الرومى مع ذلك فى نفسه بذلك الجانب منه الذى يشبه به الموسيقى أو الطائر الصادح فقال زاعما أنه لا يمدح ممدوحه:

إلا كما راقت القمرىَّ جنَّتُهُ
فظل يُتْبعُ تغريدا بتغريد

ولم نشأ أن نصفه بما وصفنا به المتنبى من أنه محارب مغامر يغالى فى الاعتداد بالنفس لأن ابن الرومى لم يطلب مُلْكاً ولا حُكماً ولا رياسة وإنما طلب السلامة من الناس وإنصاف أدبه وفضله وفنه وإعطاءه حق ذلك الأدب والفضل مما فى أيدى الوجهاء والرؤساء والأمراء من أموال الله والناس التى كثيرا ما كانت تنهب نهبا. وكان ابن الرومى مرهف الحواس منهوما بالجمال فى كل مظاهره ومطالبه، وهذا يكفى أن يكون شغله الشاغل فى الدنيا بعكس المتنبى. وكان ابن الرومى يخشى الأسفار فى طلب الرزق وله فى وصف خشيته منها أشعار، ويخشى ركوب البحر ويخشى لقاء الناس ويتشاءم بهم، فكانت صفاته النفسية تختلف

من برجنا العاجى

كل شئ أمامى فى الريف يرتل نشيد السلام. فشجيرات الفول الخضراء ترقص مع النسيم، وترسل فى الفضاء من حولى أريج زهرها الأبيض كما ترسل القبلات المعطرة. والبقرة ذات الأهداب الشقراء تتمطى فى أشعة الشمس كأنها حسناء تستيقظ فى فراش دافئ.. والكلب رابض قد أغمض عيناً وفتح أخرى تلقى على الكائنات نظرات الرضا والصفاء. والدواجن والهوام والأرض السمراء وجداول الماء، كلها بأصواتها الصغيرة وأزيزها اللطيف وصمتها الدائم وخريرها الهامس تتراءى للمتأمل كأنها تتبادل حواراً خفياً مفعماً بكلمات الود والحب والإخاء الأبدى، وكأنها جميعاً فى حركتها وسكونها جوقة موسيقية تخضع إلى يد غير منظورة كى توقع لحناً متناسقاً أزلياً لا يسمعه غير الأنبياء والشعراء.

صوت واحد نشز فى أذنى عن هذه المجموعة: هو صوت الإنسان. متى ظهر ظهرت معه الفوضى، ونشأ الخلاف حيث لا ينبغى أن يكون خلاف. تلك طبيعته. وقد تكون تلك أيضاً عبقريته.

جلس إلىّ رجلان لا يختلفان فى الزى ولا فى اللغة ولا فى اللهجة. لكن سرعان ما سمعت أحدهما يقول لصاحبه:

— أنت فلاح. أما أنا فعربى.

فعنيت بالأمر، وبادرت أسأل الرجل السؤال الذى طالما ألقيه فى مثل هذا الظرف:

— وما الفرق بين الفلاح والعربى؟

فأجاب الرجل بذلك الجواب الذى سمعته كثيراً فى مثل هذا الموضع: مروءة العربى وشجاعته وشهامته وإكرامه الضيف وحمايته الجار. ثم ... ثم شرف النسب. لم يدهشنى ذلك ولكن الذى أدهشنى حقيقة، وقد لا يصدقنى البعض إذا ذكرته هو أن هذا الرجل غير المتعلم قد أشار إلى صاحبه وقال:

— أما جماعة الفلاحين فما هم إلا أولاد توت عنخ آمون!

عجباً! إذن منشأ الخلاف بين العروبة والفرعونية ليس أدمغة المفكرين والمثقفين، إنما هو فى الريف وفى قلوب ساكنيه!

توفيق الحكيم

اختلافا كبيرا عن نفس المتنبي، ولا نحسب أن المتنبي كان يضرع في مخاطبة ممدوح كما فعل ابن الرومي في قوله :

أصبحتُ بين خصاصة وتجمُّل   والمرء بينهما يموت هزيلا
فامدُدْ إليَّ يدا تَعَوَّدَ بطنها   بذلَ النوالِ وظهرُها التقبيلا

وفي قوله :

تعرفتُ في صحبي وأهلي وخادمي   هوانى عليهم مذجفاني قاسمُ

وبعد ذلك بأبيات يرجو الرئيس المعاتَبَ ألا ينسى أنه خادم .

أما شدته في هجائه فشدة الرجل المرهف الحس إذا جُوفِيَ أو غُبِنَ أو أُسيء إليه أو اضطهد . ونكرر أن النفس كالبلور ذى الأضلاع والأشعة المنعكسةُ عليه مختلفة النواحي. ولكن لعل أصدق وصف يوصف به ابن الرومي هو أن يوصف بالمصوِّر أو الرسام أو النقاش. ويخيل إلينا أنه لو كان عائشا في إيطاليا في عهد نهضة الإحياء واشتغل بالنقش والرسم ما كانت قدرته تقل عن قدرة مصور مثل تشيانو (تيتيان) في ولوعه بألوان الجمال وجمال الألوان . ولا نعنى أنه كان مصورا في وصف مناظر الطبيعة والنبات[١] فحسب، وإنما كان مصورا في كل أبواب شعره من مدح أو ذم أو غزل أو وصف للغناء أو المآكل أو الأشربات . وقد ذكرنا قدرته الخطابية في قصيدة التحريض على قتال صاحب الزنج ولكن أعمق أجزاء القصيدة أثرا هو وصفه دخول الزنج، المدينة ووصفه ما فعلوا بها وبأهلها . فولوع ابن الرومي بالألوان لم يكن مقصورا على ألوان المرئيات بل تعداها إلى ألوان الآراء ، فتراه يُغرى بوصف لون من الرأى ثم بوصف اللون الذي هو نقيضه . والولوع بالألوان وشدة الإحساس بمعانيها وجمالها وأثرها من صفات المصور، وكذلك تَقَصِّى الأجزاء وربط أجزاء الصورة في القصيدة. ومن مظاهر ولوعه بوصف ألوان الرأى قصائده في مدح الحقد وذمه ؛ وليس من المرفوض أن نقول إن مدحه الحقد كان بسبب إحساسه المرهف وحقده على الذين آلموا هذا الإحساس المرهف من مناوئيه.

فمن مدحه الحقد قوله :

أديمي من أديم الأرض فاعلم   أسيء الربع حين يسيء بذرا
يُسمى الحقد عيبا وهو مدح   كما يَدْعُونَ حُلْوَ الحق مُرًّا

(١) قد نبه الأستاذ العقاد إلى ولوع ابن الرومي بالألوان وضرب شواهد ذلك الولوع وأشار أيضاً إلى ولوعه بتصوير الطبيعة ذات حياة .

وقوله :

وما الحقـد إلا توأم الشكر في الفتى   وبعض السجايا يَنْتَسِبْنَ إلى بعض

وإني أشك في أن الحقد توأم الشكر دائماً فإنه إذا قُرِنَ بالحسد، ولكل نفس نصيب منه قل أو كثر، منع من الشكر . وقد راجع ابن الرومي نفسه ولامها على مدح الحقد في قصائد منها قصيدته التي يقول فيها :

يامادح الحقد محتالا له شبها   لقد سلكتَ إليه مسلكا وعثا

وأبدع منها وأعظم قصيدته التي مطلعها :

يا ضارب المثل المزخرف مُطْرِياً   للحقد لم تقدح بزند وارى

وعندى أن هذه القصيدة من أعظم وأجل قصائده ، وكل منتخبات من شعره لا تشملها تعد ناقصة ، وفيها يحث على مغالبة النفس لطباع الشر وعلى تنمية طباع الخير . وقد بلغت قوة التصور عند ابن الرومي مبلغاً جعله يُصوِّر الطبيعة وكأنها من الأحياء. وربما كان ولوعه بذلك أكثر من ولوع شعراء العربية الذين كانوا يجردون من الجماد أشخاصاً فيخاطبون الليل أو السرى أو الرياح أو النجوم أو الربوع والأطلال أو الفراق، فيحدثونها وتحدثهم ، وهذه الصفة من قبيل تلك الصفة في ابن الرومي وإن كان إحساسه بحياة الطبيعة أعم وأشبه بطريقة الشعراء الآريين[١]. وليس شبه ابن الرومي بالشعراء الآريين مقصوراً على إحساسه بحياة الطبيعة وإشاعة المعنى في أكثر من بيت وتقصى أجزاء المعنى، بل هو يشمل أيضاً تفضيله فكاهة الصور الخيالية ومعانيها على الفكاهة اللفظية الشكلية ، وكانت فكاهة الصور الخيالية مفضلة في العصور المتقدمة في الآداب العربية فلم يبتدعها ابن الرومي وهي ليست ملكاً له ولا ابتكاراً ولكنه زادفيها زيادة كبيرة، ثم إن المتأخرين من الشعراء صاروا يفضلون فكاهة المغالطات اللفظية، وهذا النوع كان معروفاً شائعاً في الأدب الأوربي وإن كانت الصور الخيالية أفضل وأعلى مرتبة .

ولعل عظم نصيب ابن الرومي من فكاهة الصور الخيالية

(١) كثير من علماء علم الوراثة في العصر الحديث يذكرون استطاعة الوراثة توريث أساليب الفكر ومذاهب الاحساس. وقد تغالى بعضهم في ذلك، ولكن لم ينكر أحد توريث هذه الأمور عن طريق القدوة في الأسرة والبيئة من الجد إلى الأب إلى الابن

كانت من أسباب تبرزه فى الهجاء تبرزاً لا يضارعه فيه شاعر آخر. ولو حذفنا هجاءه الذى أفحش فيه مثل هجاء ابن الخبازة المعروف بهجاء بوران وغيره من الفحش القاذع الذى لا يصح نشره فى هذا العصر بقيت لنا فى هجائه صور فكاهية خيالية لا يستطاع تجنب اختيارها إذا أحصيت خلاصة الخلاصة من شعره، لأنها أعلى مرتبة من مدحه بالرغم من إجادته فيه. وقد كان الهجاء سبب موته مسموماً. والظاهر أن الأمراء والوجهاء كانوا يسيئون الظن ببعض مدحه غلاوة على خشية الذم، وهذا أمر يشاهد كثيراً فى الحياة؛ فإذا اشتهر رجل بالسخر ظن الناس كل مايقول من قبيل السخر أو الذم حتى ولو لم يقصد إلا المدح والتودد والصفاء.

ومن شواهد سوء الظن هذا ما حدث عند ما مدح ابن الرومى أبا الصقر اسماعيل بن بلبل الشيبانى بقصيدته الرائمة التى مطلعها (أجنت لك الوردَ أغصانٌ وكثبان) فأساء الممدوح الظن بقول الشاعر:

قالوا أبو الصقر من شيبان قلتُ لهم ... كلا ولكن لعمرى منه شيبان

وكم أبٍ قد علا بابن ذرا شرف ... كما علا برسول الله عدنان

ولم أقصرْ بشيبان التى بلغتْ ... بها المبالغ أعراقٌ وأغصان

وظن أنه يهجوه بضعة الأصل مع أن المدح ظاهر للأصل والفرع. ولا نظن أن النباء هو الذى سما بالممدوح إلى مرتبة الوزارة، وقد كان وزيراً فلم يبق إلا التعليل الذى ذكرناه، وهو أن الرجل إذا اشتهر بالسخر والذم حُملُ مدحه على محمل الذم والسخر، والشك فى نية القائل يُغطى على فهم السامع، وكثيراً ما تراه فى الحياة يُغطى على فهم ذوى الفهم حتى تراهم كالأغبياء.

والظاهر أن حادث أبى الصقر لم يكن الحادث الوحيد من نوعه وإن كان أظهر حادث. فإن لابن الرومى أشعاراً كثيرة يشكو فيها من خذلان الممدوحين مثل قوله: (ما لى لديك كأنى قد زرعتُ حصى). وقوله: (فلا تعتصر ماء الصنيعة بالمطل). وقوله: (طال المطال ولا خلود لحاجة). وقوله: (أباحسن طال المطال ولم يكن). ومثل هذا كثير فى شعره. وكان يغبط البحترى لإقبال الممدوحين على شعره، ومن أجل ذلك كان يتعرض ابن الرومى للبحترى، وله فيه أهاج منها قوله:

الحظ أعمى ولولا ذاك لم نره ... للبحترىّ بلا عقل ولا حسب

(البقية فى العدد القادم) عبد الرحمن شكرى

من الشعر المنسى لحافظ!

« لحافظ إبراهيم كثير من القصائد والمقطوعات قد أهملها الناشرون، فلم يحفظها ديوانه فى طبعته الأهلية، ولا فى طبعته الحكومية، على أنها من الشعر الرائع الذى تشرق فيه روح حافظ وتتمثل فيه شخصيته؛ ولذلك رأينا من الوفاء لشاعر النيل، ومن الرعاية للأدب، ومن الإنصاف للتاريخ أن نذيع ما لدينا من ذلك — وهو قدر لا بأس به — بين قراء الرسالة، وربما لو اجتمع لنا مقدار كبير جعلناه تذييلاً لديوانه، ونرجو ممن عنده العلم بشىء من ذلك أن يدلنا عليه وله الشكر منا ومن أبناء الضاد فى سائر الأقطار ومن قراء الرسالة »

فؤادى ... !

يا خافقاً قل لى متى تسكنُ ... لله ما تُخفى وما تُعلِنُ

ياليت شعرى عنك فى أضلعى ... ماذا تقاسى أيها المثخَنُ

وما الذى أبقاه من مهجتى ... ومن حياتى داؤك المزمِنُ

يا ثغره، من ذا الذى يحتسى ... برد ثناياك ولا يؤمنُ

يا قده، هذى قلوب الورى ... معروضة طوبى، لمن تطعنُ

يا لحظه، مُرْ نا بما تشتهى ... كل محال فى الهوى ممكنُ

خيبة أمل ... !

وخيّب آمالى وقوفُك دونها ... وأنك عند الظالمين مَكين

يَسرُّك أنى ناثم الجد عاثر ... ويُرضيك أنى للخطوب ألين

ليهنك مابى من أسىً وخصاصةٍ ... وتقليبى الكفين حيث أكون

م . ف . ع

صحائف من تاريخنا القومي

قاسم أمين – الرجل

للأستاذ أحمد خاكي

اشتهر قاسم أمين بدفاعه عن المرأة لأن ذلك كان أوضح ما كتب عنه ، لكنه عندنا من أكبر المصلحين المصريين الذين ظهروا في أوائل هذا القرن . وليس دفاعه عن المرأة إلا شعبة من آرائه في الحرية والتربية واللغة وسائر وجهات الإصلاح . ولو أنك تصفحت كلماته قبل أن تقرأ كتابيه في « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » للمحت عقلية جديدة نفذت وراء الحجب التي تكاثفت على عقول المصريين خلال قرون طويلة ، ورأيت كيف تستطيع النفس الحساسة أن تندسّ إلى ما وراء الحجب فتلقى الحقيقة سافرة غير مقنعة ، ثم لشاقك من حياة هذا الرجل أنه كان شجاعاً ، ولاتخذت من حياته مثلاً أعلى للتفاني دفاعاً عن الفكرة

ظهر في أعقاب القرن الماضي قليل من أمثال قاسم أمين ، لكنهم لم يلقوا ما لقي هو من العنت والسخرية والاستهزاء . كان يعيش أكثر أضرابه في أجوائهم ، لكن قاسماً كان يعيش في جو خاص به هو نفسه . وذلك ما استعدى عليه المتعصبين من أصحاب الدين وأنصاف المتعلمين من أصحاب العلم ؛ وقليل أولئك الذين قدروا تلك النفس الحساسة التي تؤمن بالحرية إيمانهم بنعيم الحياة . وكثير أحسوا مثل إحساسه بما كانت ترسف فيه المرأة المصرية من أغلال ، لكن أحداً من هؤلاء لم يؤتَ من شجاعة النفس ما استطاع أن يصمد به للمهاترين والمنالين ممن أعمتهم التقاليد

على أنه ليس يعنينا اليوم في حديثنا عنه وجوه الإصلاح التي نبه إليها وتحدث فيها وإنما يعنينا أن نرى قاسم أمين الرجل وأن نتعمق في درس تلك النفس الزكية التي أوتيت كثيراً من الغضب الكريم . وأشهد لقد هممت بالكتابة عن النقاش الذي دار بينه وبين الدوق دار كور ، لكنما رأيت أن الكلام في ذلك سوف يصبح ناقصاً لا غناء فيه ما لم أتحدث عن قاسم أمين « الرجل » لأن قاسم أمين « الرجل » هو الذي غضب للقومية المصرية ، وهو الذي غضبه للإسلام والمسلمين ؛ وهو بعد ذلك الذي دافع عن مصر والإسلام بحرارة المجاهد الرشيد

وأول ما يمتاز به قاسم أمين « الرجل » نفس محسّة تجيش بمختلف العواطف ، فهو قد أوتي الكمال من الحس الدقيق والشعور المرهف ، وهو من أول المصريين الذين اعترفوا بأن النفس جماع لمختلف العواطف والمشاعر والوجدانات إلى غير ذلك مما يتصل بالدراسات النفسية الحديثة . ولعله أحد المصلحين القلائل الذين اهتدوا إلى تلك النتائج قبل أن يتعمق الناس في دراسة علم النفس . فهو يعترف بأن الانسان مجموعة من الأعصاب تتأثر بالبيئة التي يعيش فيها ، وأن القلب الذي يكنّ البغض هو نفسه الذي يكنّ الحب ، وأن النفس الشريرة تنمو — إذا نمت — لأنها تصادف جواً صالحاً يؤثر فيها

وقد كان شديداً على البيئة التي نشأ فيها قاسم أمين أن تؤمن بما جاء به ، كان شديداً عليها أن تعنو للنتائج القيمة التي وصل إليها لأنها كانت بيئة نصف متعلمة ونصف متدينة في وقت معاً ، أما العلم الذي تشبثت به فقد كان خليطاً من القشور والخطل ، وأما وجهتها الدينية فقد كانت ملتوية تمتاز بالنفاق والجدل . لذلك لم يعترف أنصاف المتعلمين بالغرائز التي تندفع في نفس الإنسان ، ولم يحاول أنصاف المتعلمين أن يتبصروا فيما انحدر إليهم من أصول القرآن والسنة . ولو أن أولئك وهؤلاء قد اجتمعوا على أن يذوقوا ما ذهبت إليه تلك النفس الحاسة لرأوا رأياً آخر غير الذي بسطوا فيه أقلامهم وألسنتهم عن جهالة

على أن تلك النفس الحساسة التي اعترفت بالخير والشر جميعاً هي النفس التي أعانت صاحبها على أن يستوعب الآثار الدقيقة التي مارسها في حياته . هو قد اعترف بالغرائز الدنيا وقد اعترف بالعواطف العليا ، وهو قد رأى الشر إلى جانب الخير ، فكان في كل ذلك يمثل العلم المتبصر الرشيد ، ولن يكون الزعيم ولا المعلم حتى ولا القاضي أهلاً لما يرجى منه حتى يرى النفس الانسانية من ناحيتها وحتى يقدر الشر والخير والرذيلة والفضيلة ، وحتى يعترف بالشر والرذيلة ويتفحص هذه وذلك ليترسم السبيل السوية نحو الخير والفضيلة وكل ما ينطويان عليه من معان

تلك النظرة الدارسة هي التي أقامت عند قاسم أمين كل المعايير التي حاول أن يطبقها على المجتمع المصري ، ولأنه كان يؤمن بأن النفس جماع العواطف والوجدانات فقد قال : « إن الفضيلة والرذيلة يتنازعان السلطة على نفس الانسان في جميع أدوار حياته . فتارة يخضع للأولى وتارة تتغلب عليه الثانية ، ولا يوجد رجل مهما بلغ في التربية والعلم يكون آمناً من السقوط يوماً في الرذيلة ، كما لا يوجد رجل مهما أحاطت به الرذيلة إلا وفيه استعداد لأن يأتي يوماً بأفضل الأعمال

« وحقيقة الأمر أن أخلاق الإنسان ليست شيئاً يتم دفعة واحدة ، وليس لها حد تقف عنده ، إنما هي في تحليل وتركيب ، في تكوين مستمر يعتريها الانحلال زمناً وتعود بعده إلى التماسك »

بل هو قد استطاع أن يقيم معياراً صحيحاً يقيس به رغبات الرجال ونزعاتهم . ولسنا ندري هل كان يتنبأ بكشوف علم النفس الحديث حين قال : « إن الإنسان أسير الشهوات ما دام حياً . وإنما تختلف شهواته باختلاف سنه : فشهوة اللعب عند الطفل ، وشهوة الحب عند الشاب ، وشهوة الطمع عند رجل الأربعين ، وشهوة السلطة عند شيخ الستين ، جميعها شهوات تعرض صاحبها للهفوات واقتراف الخطايا »

وقد كان قاضياً، على أنه كان ينظر إلى نفس المجرم نظرة دارسة أخرى . كان يرى أن المجرم مسير أكثر مما يكون مخيراً ، وأنه « لا بد أن تكون الغاية النهائية للتربية الأدبية هي العفو عن الخطيئة — العفو عن أكبر خطيئة ، العفو عن كل خطيئة »

« هل المخطئ مسئول أو غير مسئول ؟ وما هي درجة مسئوليته ؟ مسألة عظيمة يجب على من يريد الحكم على غيره أن يحلها . لكن حلها يكاد يكون محالاً ، إذ لا يستطيع أحد أن يلم بجميع العوامل التي تتركب منها الذات الإنسانية بوجهيها الأدبي والمادي ، والقليل الذي يعلمه من ذلك يبين أن سلطة الإرادة على النفس محدودة وخاضعة لمؤثرات كثيرة شديدة تتنازعها وتقارعها وتضعف قوتها على نسبة مجهولة ومقدار لا يصل إلى تقديره عقلنا . وكل تاريخ الإنسان في الماضي يدل على أنه إن لم يكن متولداً عن الحيوان المفترس مباشرة ، فهو مشابه له في شره وأطماعه وشهواته . خلق عليل النفس كما هو مريض الجسم . خلق على أن تكون صحته الجسمية والعقلية صدفة سعيدة وعارضاً مؤقتاً »

« فالخطيئة هي الشيء المعتاد الذي لا محل للاستغراب منه . هي الحال الطبيعية الملازمة لغريزة الإنسان . هي الميراث الذي تركه آدم وحواء لأولادهما التعساء من يوم أن اقتربا من الشجرة المحرمة ... من ذلك اليوم البعيد لوثت الخطيئة طبيعتهما ، وانتقلت منهما إلى ذريتهما جيلاً بعد جيل . ذلك هو الحمل الثقيل الذي تئن تحته أرواحنا الملتهبة شوقاً إلى الفضيلة ... »

« وأخيراً ، فإن العفو هو الوسيلة الوحيدة التي ربما تنفع لإصلاح المذنب ، فقلما توجد طبيعة مهما كانت يابسة لا يمكن أن تلين إذا هي عولجت »

وإذا أنت نثرت بين يديك كل ما قيل عن تنازع الغرائز ، وإذا أنت نشدت فكرة تأخذ بجماع الغرض الأسمى للتربية ، لم تجد تصويراً أدق مما ترسمه قاسم أمين في تلك الكلمات . كل كلمة تنضح من ينبوع من الحكمة والحق والحب ، وكل فقرة تجبهك بحقيقة من الحقائق التي يعيها رجال التربية ويعلمون مداها في تربية العقل والوجدان في العصر الحاضر . وإنما النفس الحساسة التي تفيض رحمة وحناناً هي التي شعرت بكل ذلك . وقاسم أمين القاضي هو الذي آمن ذلك الإيمان . أليس القاضي هو الذي يستطيع أن يبلغ بإحساسه إلى مستسر النفس ويتعمق بشعوره إلى أطوائها ؟ إلا أنه كان قاضياً فذاً ذلك الذي استطاع أن يوفق بين العدل وبين العفو . فهو يشعر بنواحي الضعف البشري كما يشعر بها شاعر مثل شكسبير ثم لا يمنعه ذلك من أن تجرى أحكامه بقسطاس مستقيم

* * *

قاسم أمين المربي وقاسم أمين القاضي هو الذي شعر بكل ذلك؛ لكن قاسم أمين المتفنن الأديب هو الذي استطاع أن يؤلف بين العفو وبين العدل وأن يداول بين المثل الأعلى وبين الفطرة الدنيا . والمتفننون في العالم هم أولئك الذين ألفوا بين المتناقضات وجمعوا الأبيض والأسود في صعيد واحد يفرقون بين هذا وذاك بما يوحى إليهم من الحكمة وبما يلهمون من شعر أو حديث أو تصوير . ولولا أن المتفننين القدامى والمحدثين قد اعترفوا بالرذيلة والخطيئة والشر لما ورث العالم ذلك الفن الذي رفه على الإنسان حياته . وقد أوتي قاسم أمين نفس المتفنن الأديب وهي التي ألهمته

أن يردحياة المجتمع في عصره إلى عناصرها الأولى فاستطاع أن يفرق بين الحق وبين الباطل واستطاع أن يدافع عن الأصول التي اهتدى إليها في حرارة الأدباء والمتفننين

ولسنا ندري: أإذا أتيح لقاسم أمين أن يكتب في الأدب التمثيلي أ كان يكتب من المسرحيات ما يشا كل تلك النفس الفنانة التي ترددت بين جنبيه ؟ لكن قاسماً كان فيما يكتب يستروح نفحة نقية من الأدب ، ويتهدّى بشعور عميق من الفن . إلا أنه لأمر ما لم يتجه إلى الأدب المسرحي ، أو قل إنه أوتى الكثير من عدة الفن لكنه لم يتهيأ لإنتاج الفن نفسه . وإنما قوام الفن تلك الحساسية البريئة التي تستطيع أن تشفق على المجرم وأن ترى الغرائز الدنيا مصطخبة مع الأفكار العليا . إنها نفس حساسة تلك التي تستجيب لكل الآثار التي تلقاها ، وهي هي نفس التفنن الأديب. وأي الرجال كان شكسبير، وأي الرجال إبسن أو برناردشو إذاهم لم يمتازوا بتلك النفس الحساسة التي تستجيب لكل الدواعي ؟ وعندنا أن قاسم أمين كان أحد الذين انفعلوا لآثار البيئة التي عاشوا فيها ، ثم أعطوا بعد ذلك أضعاف ما أخذوا . وهو يشبه في ذلك جمهرة الروائيين الذين صوروا الحياة كما كانت وكما ينبغي أن تكون . ولو أنه أوتى حظاً من التأليف الروائي لخرجت من بين يديه مسرحيات تطاول ما ألفه الآخرون. وحسبه أن كلماته التي لم تبلغ الستين صفحة لم تزل معرضاً لنواح كثيرة من حياة الجيل السالف : معرضاً أحسن تصويره أي إحسان .

ولعلنا نطيل كثيراً إذا حاولنا أن نتأثر ما صوره قاسم أمين من حياتنا المصرية ، فهو في مرة يصف حياة خمسة من الشيوخ أحيلوا إلى المعاش وقضوا أوقات فراغهم في لعب الطاولة وفي مناقشات بريئة صاخبة عن البن . قضى الموت على أربعة منهم « وبقي خامسهم منفردا كئيبا لا يتكلم ولا يخرج من بيته لا يدري ماذا يصنع بحياته ويرقب الموت الذي يخلصه منها . »

وهو يكتب في مرة عن متطفل اقتحم بيت أحد أصدقائه وفيه قوم يسمرون فأفسد سمرهم . وهو في كل ما يصف شاعر بالجذل الذي يملك نفس الروائي، وهو يقول في ذلك : « يقصد الناس التياترات لرؤية الحوادث الغريبة ، وسماع القصص المضحكة أو المبكية . والعاقل يكتفي بما يراه حوله ويسمعه ، يتفرج مجانا على وقائع لم تبلغها مخيلة المؤلفين ، ولا مهارة الممثلين » .

* * *

وشيء آخر شارك قاسم أمين فيه أهل الفن والأدب ، ذلك هو الشعور بالجمال . فلقد كان خياله سخيا لدنا ، اتسع لألوان كثيرة من الجمال . وقد حاول أن يسبغه على غرائز الفطرة الأولى التي اعترف بها . فهو إذا اعترف بأن الإنسان يولد شريراً فقد ذهب إلى أن الغريزة قد يستعلى بها إلى المكان الأسمى . وهو في ذلك يختلف عن كل معاصريه الذين ثاروا به . ولأن هؤلاء لم يدركوا ذلك الأساس الأول من أسس التربية والإصلاح فقد ظل قاسم أمين عرضة لسوء الظن،وظلت كلماته غرضا لسوء التأويل؛ وهو قد كان يؤمن بأن « أعظم ما يصاب به المرء أن يحرم من الذوق السليم » وبأن « الذوق السليم هو الإحساس الفطري الذي ينمو ويتهذب بالتربية . هو الشعاع اللطيف الذي يهدى صاحبه إلى أن يقول ويفعل ما يناسب المقام »

وكأنما قد ألهمت تلك النفس الحساسة حب الجمال إلهاماً ، وكأنما تشرفت على ما تندفع به نفس الإنسان من عواطف نبيلة ، كما اطلعت على ما يتدفق في أغوارها من غرائز وشهوات . والحق أن باحثاً يدرك الشر لا بد أن يرى ناحية الخير ناصعة بريئة . وقد داول هو البحث بين الخير والشر فأقام حدوداً جمالية ترى أن مصر لم تأخذ بالكثير منها . فهو قد كان يرى أن « أكبر الأسباب في انحطاط الأمة المصرية تأخرها في الفنون الجميلة : التمثيل والتصوير والموسيقى ، وأن هذه الفنون ترى جميعها على اختلاف موضوعها إلى غاية واحدة هي تربية النفس على حب الجمال والكمال ، فإهمالها هو نقص في تهذيب الحواس والشعور »

وهو يقص عليك القصة التالية لتدرك تقديره للجمال ، ولترى في أية بيئة كان يعيش :

« دخلنا قصر اللوفر ، وكنا أربعة من المصريين لنمتع النظر بأبدع ما جادت به قرائح أعاظم الرجال في العالم ، فبعد أن تجولنا في غرفتين جلس أحدنا على أحد الكراسي قائلاً : أنا اكتفيت بما رأيت وها أنا منتظركم هنا . وقال الثاني : أتبعكما لأني أحب المشي وأعتبر هذه الزيارة رياضة لجسمي ، وسار معنا شاخصاً أمامه لا يلتفت إلى اليمين ولا إلى اليسار ، وما زال كذلك حتى وصلنا

أعلام الأدب

هوميروس

للأستاذ دريني خشبة

« إلى أستاذي الجليل أحمد حسن الزيات أهدى هذه الفصول »

ألم ينظم هوميروس غير الإلياذة والأوديسة ؟

لقد ذكر كالينوس الشاعر اليوناني القديم (٦٦٠ ق . م) منظومة لهوميروس تدعى (Thebais) لما يعثر عليها إلى عصرنا هـذا . ويظن بعض المؤرخين أنها لا تعدو أن تكون الإلياذة في صورة أنجم نظمها للانشاد في طيبة اليونانية ولذلك أطلق عليها هذا الاسم

وعثروا على آثار للشاعر سيمونيدز (أمورجوس) الذى كان يعيش فى منتصف القرن السابع قبل الميلاد ، وردت فيها مقتطفات من هوميروس يُظن أنها من الإلياذة — منها ذلك البيت المشهور : « وكما تَسَّاقط الأوراق (فى الخريف) فكذلك تَسَّاقط أرواح البشر »

وبعد ذلك بقرن كامل (٥٥٦ — ٤٦٨) رَوى شاعر آخر يدعى : سيمونيدز (من كيوس) بالتواتر عن هوميروس شعراً من ملحمة مفقودة لا تمت بصلة لا إلى الإلياذة ولا إلى الأوديسة

أما بندار (٥٢٢—٤٤٨ ق . م) ، وهو زعيم الشعر الغنائى فى اليونان القديمة ، فقد كان مشغوفاً بهوميروس وإن لم يمنعه شغفه به من مآخذ أخذها عليه فيما يتعلق بأوديسيوس ... وقد ذكر لهوميروس ملحمتين طويلتين عن أخيل ما تزالان وا أسفاه مفقودتين إلى اليوم ... وإذا كانت الأوديسة قد بلغت هذه الغاية من الإبداع فى سمو القصص وكثرة الوقائع وهى لبعض أبطال الإلياذة ، فما بال هوميروس فى ملحمتيه فى أخيل وهو بطل أبطال الإلياذة جميعاً ؟ ! أية ثروة أدبية من شعر البطولة قد فقدها العالم !! لقد كان بندار يعجب بهاتين الملحمتين (الإلياذة الصغيرة والأثيوبيون) إعجاباً فائقاً جعله يشدو بهما كما يشدو عصفور الكناريا باللحن الموجع ...

أما إسخيلوس فقد كان يقول عن مآسيه التى نيفت على الثمانين ولم يصلنا منها ويا للأسف إلا سبع : « إنهن فتات من موائد هوميروس الحافلة ! ! » والثابت أنه استخدم أبطال الملاحم الهومرية فى أكثر ما ألف إن لم يكن فى كل ما ألف ... فهل كانت جميع مآسى اسخيلوس عن أبطال الألياذة والأوديسة فقط ؟!

وقد ألف سوفوكليس أربعاً وعشرين ومائة مأساة ... وكانت ثلاثياته[1] تحوم حول أبطال هوميروس كما كان يفعل إسخيلوس ، فهل كانت أبطاله فى هذه الأربع والعشرين والمائة المأساة كلها من الألياذة والأوديسة ؟

يقول المؤرخون حين يعرضون لهذا إن كلا من إسخيلوس وسوفوكليس كان يعد كل ما وصل إليه من ملاحم العصر القديم هومريا ، ولو لم يكن من نظم هوميروس ... ومن هذا التراث العظيم استمدا موضوعات مآسيهما ... بل يقولون إنهما كانا يدعوان ذلك العصر كله العصر الهوميرى ... على أنه ليس فى هـذا الكلام دليل على أن هوميروس لم ينظم غير الإلياذة والأوديسة ، وإلا لم يقل إسخيلوس إن مآسيه فتات من موائده

(١) كانت مآسى اسخيلوس وسوفوكلس تتركب من ثلاثيات والثلاثية Trilogy عبارة عن ثلاث مآس تؤلف موضوعاً واحداً

قاعة المصاغ والحلى . وحينئذ تنبهت حواسه وصار ينظر إلى الذهب ثم صاح : هذا ألطف ما فى الدار . وصلنا إلى تمثال إلهة الجمال الفريدة فى العالم أجمع ، فسألت دليلنا ماذا تساوى هذه الصورة إذا عرضت للبيع ؟ فقال إنها تساوى ثروة أغنى رجل فى العالم . تساوى كل ما يملكه الإنسان . تساوى ما يقدر لها حائزها ويطلبه ثمناً لها ، إذ لا حد لقيمتها »

وأنت تستطيع أن تقدر المرارة التى تخبث النفس الزكية حين تهتز لقطعة من الشعر أو الموسيقى أو لقطعة من التصوير والنحت؛ تحس بهذه المرارة إذا ابتلاك القدر بأن تسير وشخصاً تجافى نفسه كل نوع من أنواع الجمال ، فلا يرى من جمال الشعر إلا البيت المتهتك السخيف ، ولا من جمال الموسيقى إلا النغم الصاخب المنفر . ولعلك تحس بالمرارة التى كان يشعر بها قاسم أمين إذ كان يساير رجلاً استغلقت عليه آيات الفن الخالدة غير بعض حلى من الذهب والفضة لأن لها بريقاً يلمع ! حقاً إن قاسماً كما أسلفنا القول كان يعيش فى جو خاص لا يشاركه فيه إلا القليل

أحمد مراكى

الحافلة ، لأن إسخيلوس كان يعنى ما يقول أكثر مما يحاول مؤرخو زماننا هذا أن يفهموا من عبارته وجهها الصحيح ، وهو ولا شك كان يعنى هوميروس نفسه ، ولم يعن عصره كله وبعض العصر الذى سبقه وبعض العصر الذى جاء بعده أو ما يسميه المؤرخون العصر الهوميرى ، أو ما يزعمون أن إجزنوفان (القرن السادس) كان يدعوه كذلك

هذا وقد اعترف تيوسيديدز لهوميروس بالإلياذة والأوديسة وبترتيلة أبولو ؛ أما أفلاطون فلم يستشهد بأكثر من نتف من الإلياذة والأوديسة ؛ وجاء أرسطو فاعترف له بالإلياذة والأوديسة وملحمة فكاهية تدعى (مارجيتس) ضاعت فيما ضاع من تراث الإغريق ... أما أرسطرخوس الأسكندرى العظيم (١٦٠ ق . م) فلم يعترف له بأكثر من الإلياذة والأوديسة

وعلى ذكر أفلاطون وأرسطو نروى أن كلا منهما كان يقتنى نسخة من الإلياذة مختلفة فى كثير من فصولها عن النسخة الأخرى ، ولم يستطع المؤرخون تعليل ذلك بعد ، اللهم إلا ما يعزى إلى بزستراتوس — منظم أشعار هوميروس فيما يقال — من أنه تناول الإلياذة بشىء من التحوير ، وأقحم عليها زيادات فى تمجيد الأثينيين ... وهو ما يشك فى صحته الأساتذة لانج وموراى وبورا والعلامة كارل مولر

على أنه ليس بزستراتوس وحده الذى اتهم (بتحشية) الإلياذة والتزوير على هوميروس ، بل إن صولون نفسه قد اتهم بمثل ذلك ... بل اتهمت به كل مدينة يونانية ... وما حدث للإلياذة من ذلك القبيل هو ما حصل لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم حينما اختلفت الأحزاب وأراد كل منها أن ينصر مذهبه بأثر من كلام الرسول ، فكثر التلفيق وشاع الوضع ، ثم نشأ بعد ذلك ما نشأ من مدارس الحديث وشمر الأئمة للتجريد والتضعيف وما إلى ذلك .. فمثل هذا حدث فى اليونان القديمة

ولقد ساهمت مدرسة الإسكندرية بأوفى نصيب فى درس الإلياذة والأوديسة ، وفرغ من تلاميذها الأفذاذ لكلتا الملحمتين عدد عظيم استطاعوا عرفان الزائف من غيره ، وكان إمام هذه المدرسة المؤرخ الناقد الكبير أرسطرخوس الذى وضع لنقد الأدب الهوميرى قواعده الرائعة

ويحددون عصر البطولة الذى وقعت فيه حوادث الإلياذة ثم حوادث الأوديسة بالقرنين الثانى عشر والثالث عشر ، وذلك أن القبائل اليونانية (الأيونيه والأيوليه والدوريه) كانت قد أخذت تنهض فجأة وتناضل فى سبيل مجدها وتناوئ الحثيين والمصريين على السواء ، وكان لا بد لها قبل كل شىء من أن تقهر طروادة الحصنة القوية الرابضة على ضفة الهلسبنت (الدردنيل) الشرقية ... وبعد أن وضعت الحرب أوزارها ... وبعد أربعة قرون أو نحوها ، جاء هوميروس ليروى وقائع هذه الحرب فى منظومته الخالدة ، أو وقائع السنة الأخيرة من السنوات العشر من حصار طروادة — أو إليوم — كما كان يدعوها غالباً .

فالإلياذة من هذه الوجهة قصيدة حربية حافلة بأنباء المعارك ، تكاد تسمع صليل القتال وأنت تتلوها ، وتكاد تشرف منها على ميدان صاخب ثائر النقع ، شديد الروع ، فائر بالدماء ... وإذا كنت من رجال الحرب سرتك الخطط المرسومة والخدع المحبوكة ، وراعتك هذه الفيالق المجيّشة تأخذ أماكنها ثم تتحرك كالموج ، ثم ترتد قطعة بعد قطعة وهى فى حالتى الكر والفر كالرجل الواحد ، أو كالبنيان المرصوص ... والإلياذة من هذه الوجهة أيضاً تصور لك حياة الجند فى الثكنات أروع تصوير وأروعه ، كما تصور لك حياة البحارة والرياضيين والرعاة ورجال الجبال ... لكنها لا تبلغ من ذلك ما بلغه هسيود فى ملاحمه ، وذلك ما نرجئه لفصل آخر

الإلياذة وصف قوى لهذه المجازر التى نشبت بين جيل من الناس يسكن فى طروادة ، وبين جيل مختلف عن جيل طروادة ... لأنه جيل من أنسال الآلهة ، وذرارى أرباب الأولب ، فيما تزعم أساطير اليونان ... جيل توالد من تزاوج عجيب بين هذه الأرباب الأولبية وبين إنسيات فاتنات من بنات حواء ... فليس أخيل العظيم ولا أودسيوس ولا أجاممنون ولامنالايوس ولاديوديميد ولانسطور ولا أجاكس ولا أبطال أخايا[1] جميعاً أشباهاً لهكتور ولا باريس ولا أبيهما بريام ولا لأبناء طروادة ، لأن الأولين أبناء آلهة والآخرين أبناء بشر مثلنا

شخصيات عجيبة جداً تلك الشخصيات التى اخترعها هوميروس

(١) أخايا وهيلاس من أسماء اليونان القديمة . وأخايا أيضاً مقاطعة بعينها من هذه البلاد

فهو لم يكتف بأن صنع للأغريق لاهوتاً يعج بكل زوج من الآلهة بل راح يزاوج بين تلك الآلهة وبين الناس ثم ينسل أولئك الأبطال العظام الذين دوخوا طروادة، وأرووا سوحها بالعزيز الغالى من دماء أبنائها

فالسيدة هيلين، التى بسببها نشبت الحرب، هى ابنة زيوس كبير الآلهة من ليدا التى أحبها الاله الأعظم فى غفلة من زوجه هيرا.

وأخيل — بطل الإلياذة — هو ابن بليوس ملك فتيا — لكن أمه عروس الماء الحسناء الفتان ذيتيس — التى استطاعت أن تزلزل قلب الإله الأكبر — زيوس — بجمالها الساحر، وأن تجعله، وهو سيد أولمب، بعض عبادها، كما استطاعت كذلك أن تسحر قلوب الآلهة الذين أهرعوا من كل مكان ليشاركوا فى زفافها ويشربوا النخب فى أكواب مما أهدى إليها الصب المدنف، إله الخمر، باخوس!

وأوديسيوس — بطل الأوديسة، وثانى أبطال الإلياذة، وصاحب فكرة الحصان الخشبى — يتصل بزيوس من أمه مايا — وكذلك ابنه تليماك

أما أجاكس، وهو من أبرز فرسان الإلياذة وأشدهم بأساً، فهو من حفدة دردانوس

وأجاممنون، وأخوه منالوس، هما ولدا أتروس حفيد تنتالوس، ذلك الملك القاسى المتحجر القلب الذى حاول مرة أن يطعم الآلهة من شواء صنعه لهم من بدن ابنه(١). فكان جزاؤه النفى إلى ظلمات هيدز حيث قاسى الظمأ الممض وهو غريق فى نهر من الماء العذب لا يصل إليه فوه، وإن بينه وبين الماء لشبراً واحداً

وجميع الأبطال الآخرين هم حفدة الآلهة، وأبناء السماء كما دعاهم هوميروس (الألياذة ج ٢ سطر ٥١٣)

على أن أبطال طروادة يمتون هم أيضاً بوشائج النسب إلى بعض الآلهة. فبريام وأبناؤه التسعة (هكتور وباريس ... الخ) ينحدرون من أسلاف أجاكس (دردانوس)

وفى كثير من كتب الإلياذة مفاخرات عجيبة بالأنساب بين أبطال اليونان وأبطال طروادة، إذ يرد الطرفان أصولها إلى الآلهة (إقرأ المفاخرة الجميلة بين أخيل وبين إيناس — إلياذة — الكتاب العشرون)(٢)

بيد أن أبطال اليونان فى الإلياذة يبدون أكثر اقتراباً إلى الآلهة وأشد اتصالاً بهم مما تبدو العناصر المكونة لجيش طروادة

وكذلك الحال بين آلهة الأولمب، فأكثرهم يعطفون على اليونانيين ويناضلون عنهم، ويُسْدون لهم أحسن الجميل فيما تقتضيه معاركهم من تيسير وترشيد

أما طروادة، فيعطف عليها أبولو، وتنحاز إلى صفوفها فينوس... أليس باريس قد قضى بالتفاحة لها من دون هيرا ومينرفا؟

لذلك تكاد تكون حرب الإلياذة قائمة بين قبيلين متفاوتين فى الطبائع، فأحدهما أقرب إلى الآلهة منه إلى الناس، والآخر أقرب إلى الناس منه إلى الآلهة، وفى ذلك ما فيه من ميل هوميروس الذى يبدو هواه مع اليونانيين فى الإلياذة التى نملكها، والتى هى من تمحيص اليونانيين من أهل أثينا والأسكندرية

على أن هذا الميل لم يكن حاداً أو مبالغاً فيه كما هى الحال فى القصص الشرقى الذى خلفته لنا عصور البطولة ومن نحو قصة عنترة أو أبى زيد أو سيف بن ذى يزن؛ فالغالب فى هذه القصص أن يطبع الراوى سامعيه بطابع خاص، فيجعل هواهم فى جهة واحدة بحيث يطربون أبلغ الطرب وأشده إذا جال عنترة جولة فأطاح برؤوس مائة أو مائتين أو ألف أو ألفين. أو إذا انهزم الزناتى أمام أبى زيد . . . . لا . . . . لم يفعل هوميروس كما فعل هؤلاء، فهو بالرغم مما جعل لأبطال الاغريق من شرف النسب وكرم الحسب، وبالرغم مما أنهى به الإلياذة من فتح طروادة وإشعال النيران فيها وقتل أبطالها البارزين إلا أنه قد خصهم بنوع عجيب من البطولة يرفعهم درجات فوق الأبطال الاغريق. وذلك أنه جعلهم أناساً، وجردهم فى المعمعة من هذه الحضانة الربانية التى خلعها على أخيل وغير أخيل، ومع ذلك فقد صبروا وصابروا ولقوا جموع اليونانيين بمثل الشجاعة التى لقيهم اليونانيون بها، فلم يجبنوا، ولم يهنوا، ولم يتخاذلوا عند اشتداد اللقاء، وكانوا يَقتلون ويُقتلون، وكانت الكرة تكون لهم مرة ولخصومهم مرة ... وكانت لهم مواقف عجيبة مشرفة تنتزع من القارئ استحسانه أو رثاءه ... وقد استطاع هوميروس أن يستدر دموع سامعيه وهو يصور وداع هكتور لزوجه وولده،

---

(١) أساطير الأغريق والرومان لجرير ص ١٤٣

(٢) تجد فى الكتاب الثانى للألياذة أنساب معظم الأبطال اليونانيين الذين اشتركوا فى هذه الحرب وقد أورد الأستاذ جرير جدولا جنيالوجيا فى آخر كتابه هو أحسن ما وضع فى هذا الباب

عرض سريع

يوم الفتوّة في بغداد

للأستاذ علي الطنطاوي

ذلك هو يوم الجمعة ٢٧ يناير ، الذي انتقلت فيه بغداد كلها ، فاستقرت في شارع الرشيد وشارع غازي ، لترى مركب الفتوّة ، الذي يصل بين غازي والرشيد ، فينشئ المجد الجديد ، على أساس المجد التليد ... وقد أتى الناس من كل فج عميق ، ليشهدوا بأعينهم كيف غدا أبناؤهم أسوداً صغاراً ، أشبالاً ، يدافعون عن الحمى ، ويحمون العرين . . . ويبصروا ببصائرهم الآتي المجيد ، والمستقبل الزاهر ، وقد أشرق فجره من عيون أولئك الفتيان ، التي تبرق بريق الحماسة والإخلاص ، وقلوبهم التي تنطوي على التضحية والثبات ، وألسنتهم وهي تنشد النشيد الذي يوقظ الموتى ، ويصب الحياة في الصخر الصلد ، وأيديهم التي تهز البنادق ، تقول بلسان حالها : إنا نحقق ما نقول !

مرحى يا فتيان العراق ، عشتم للعروبة ، وسلمتم للاسلام !

* * *

أقبل الناس على شارع الرشيد ، قبل أن تقبل الشمس بوجهها على بغداد ، فملؤوا جوانبه ، واستأجروا مداخل المخازن ، وشرفات المنازل والفنادق ، حتى بلغت أجرة المقعد الواحد ربع دينار ، ولا ترى في شرفة مقعداً ، ولا على رصيف مكاناً ، وتعلق الناس بالأعمدة ، وأشرفوا من الأسطحة ، وكانت الوجوه في بشر وانطلاق ، كما كانت الطبيعة متهللة باسمة في هذا اليوم المشهود ، والشمس بازغة ساطعة ، والأنس في الأرض وفي السماء ...

وانتظر الناس ساعات ، لا يملّون ولا يضجرون ...

* * *

وكنت في غرفتي في (الأعظمية) أهم بالنزول إلى بغداد ، ثم ردعني خوف الزحام ، وكراهية الاختلاط ، وخشية أن يبتلعني هذا اللج البشري الهائل . . . وكنت أنظر في ركام الكراسات التي تبلغ المئات ، والتي جمع فيها كل تلميذ ما يستطيع من الأخطاء والحماقات ، لأموت بتصحيحها ، وتقدير درجاتها ، فلا أمسها ، ولا أدنو منها ، وإنما أنصرف عنها أفكر في بلدي وأهلي ...

أأنا أهجع آمناً في بغداد ، وآنس مطمئناً ، وأهلي في دمشق يمشون على النار ، ولا يدرون أإلى موت أم حياة ؟ أأستمتع بالجمال ، وأتذوّق الحب ، وأنفق الأماسيّ الهادئة ، في مسارب الأعظمية ، أساير (الشط) وأتفيأ ظلال النخيل ، والشام قد ثار من تحته البركان ، وزلزلت منه الأركان ، وهبّ أهله هبّة المستميت ، يريدون الحياة كاملة ، أو الموت صرفاً زعافاً ؟

فكرت في ذلك فامتلأت نفسي كآبة وحسرة ، فقمت على غير شعور مني وانطلقت إلى بغداد ، وما أدراك اليوم ما بغداد ؟

* * *

بلغت (الباب المعظم) وعهدي بالمكان أن فيه شوارع وميداناً ، فإذا هو بحر من الخلائق يموج بعضها في بعض ، وقد غرق في هذا البحر الشارعُ واختفى الميدان ، فوقفت حائراً لا أتقدم ولا أتأخر ، وطال بي الوقوف ، وخشيت أن أبقى كذلك

وفزع هذا الولد العجيب وأبوه يتناوله من يدي أمه ليقبله القبلة الأخيرة التي لم يره بعدها ، لأنه ذهب ليصاول أخيلا فيقتله أخيل بمساعدة الآلهة ... لا لأنه أقوى منه وأشد مراساً ...

لقد استطاع هوميروس أن يستدر دموعنا وهو يصور لقاء أخيل لبريام المحزون وقد ذهب — وهو ملك طروادة — يرجو بطل الإغريق وزعيم الميرميدون في أن يدع له جثة ولده هكتور ، وأن يخلي بينه وبينها ، فما كان من أخيل إلا أن أصاخ ودموعه تنزف ، فترك الجثة ، جثة هكتور الذي قتل بتروكلوس حبيب أخيل ، ووكيله على جنده وأعز الناس إلى نفسه ، والذي بكيناه أحر البكاء حينما قتل ، وحينما انتزعت أسلابه ، وحينما جيء به إلى معسكر أخيل معفراً بتراب المعمعة ، وحينما سهدت عليه العيون ، وسهرت عليه حبيبة أخيل

وهكذا يرتفع هوميروس بأبطاله في الناحيتين ، ويوزع إعجاب القارئ على المعسكرين ، مما سنبينه في العدد القادم

دريني خشبة

إلى السماء ، فتشددت وقلت: ويحك يا نفسى ! لماذا الجبن؟ وعلام التأخر ؟ ولماذا كنت تدفعيننى إلى أن أمارس ألوان الرياضة ، إذا كنت لا تستطيعين النجاة فى مثل هذا اليوم العصيب؟ وظننت نفسى قد اشتدت ، فشمرت عن ساعدىّ وأقبلت أدفع هذا ، وأزيح ذاك ؛ وكلما دفعت عنى واحداً حلّ مكانه عشرة ، فخارت قواى وأيست من النجاة ، واعترفت لنفسى بأنى لم أبلغ بعد مبلغ عنتر (عنتر القصة) الذى يقبض على الرجل فيرفعه بيده فيضرب به الآخر فيقتل الاثنين ... فوقفت فاشتد على الضغط من كل جانب ، حتى أحسست كأن أحشائى ستخرج ، وضاق نفسى، ولكن كل ضيق إلى فرج ، فلم يكن إلا أن فرج الله عنى فبعث رجلاً من رجال الشرطة أعرفه فحملنى إلى الفندق الذى أريد ...

***

وكان فى شرفة الفندق سعادة القائد البطل فوزى القاوقجى وأخى الشاعر أنور العطار فى جماعة ، فخلت فيهم ، ولبثنا ننتظر الموكب ، ونتحدث عن الفتوة فى العراق ، ونستمع إلى أحاديث فوزي وهى للأديب كنز لا ينفد ... وأشهد أن فى العراق فتوة وشبابا ، وأنه شعب عرف طريق الحياة فسلكه . ولقد رأيت من مظاهر الفتوة فى بغداد ما جعلنى أبكى من فرط التأثر ! رأيت فى بغداد طفلاً يدرج على باب منزله ، لم يتعلم المشى ولا النطق ، وهو يحاول أن يخطو خطو الجند ، ويوعز إيعاز القائد : يُسْ . يُمْ . أى : يسرى . يمنى ...

رأيت فى بغداد أطفال المدارس الابتدائية ، يسيرون سير الجنود . يقودهم مدرس بلباس ضابط ، يدربهم على فنون القتال .

وذهبت مع الطلاب إلى معسكر الانكليز فى (سن الذبان) لمباراة رياضية . فرأيتهم قد قلبوا المدينة الانكليزية إلى حى من أحياء العرب ، وأفاضوا عليها روحهم وشبابهم وفتوتهم ، فقلت : تبارك الله ! إذا كان جيش من لاعبى الكرة لا يتجاوز الخمسين شاباً فعل هذا كله ، فكيف لو جاء الجيش العربى جيش المستقبل؟

وسألت الطلاب فى الامتحان هذا السؤال الأزلى : ماذا يريد أحدكم أن يكون؟ فكان جواب الأكثرين أنهم يريدون أن يكونوا جنوداً ، مشاة وركباناً ، وبحارة وطيارين ، يدافعون عن أمتهم ويذبون عنها كل طاغية أو جبار ينبع من الأرض أو يهبط من السماء ... ورأيت أثر الروح العسكرية واضحاً فى الطلاب ، فالطاعة من غير استخذاء ، والحرية من غير تمرد ، والنظام من غير جمود . تلك هى صفات طلاب العراق . وإن فى مدرستنا الغربية لثلثمائة طالب ، والمدرسة سائرة سير الساعة المتقنة وليس فى إدارتها إلا مدير ومعاون ، مع أن مثل هذا العدد يحتاج فى دمشق إلى عشرة ضباط (معيدين) ثم لا تكون المدرسة كالساعة ، وإنما تكون كالبركان الذى يهدد كل لحظة بالانفجار . فيا ليت شباب دمشق يعرفون الروح العسكرية ، كما عرفها أشقاؤهم شباب العراق

***

لبثنا ننظر إلى الضحوة الكبرى ، والناس لا يزدادون إلا تدفقاً ، فكأنهم سيول تصب فى هذا الخضم العظيم ، والشارع يموج بالناس موجاً ، ويزخر بالخلائق ، وكلهم يتطلع وينظر ، وكلهم يسأل متى يأتى الموكب ، وعمال الشركة الأميركية للسينما ماثلون بآلاتهم فى الشرفات والزوايا ، ليصوروا معالم الحياة فى بغداد ...

وإن البحر ليموج ويزخر، وإن أمواجه لتصخب وتضطرب، وإذا بالمعجزة قد وقعت فانشق كما انشق البحر لموسى ، وانفتح الطريق ، فنظر الناس ونظرنا فإذا الأعلام العربية تلوح بألوانها الأربعة التى تجمع شعار دول الإسلام كلها بأمييها وهاشمها وعباسها وترمز لفضائل العرب كلها :

بيض صحائفنا سود وقائعنا خضر مرابعنا حمر مواضينا

وإذا الموكب قد لاح من بعيد ، كما يلوح الهلال الهادى ، للقائد الآيس ويسطع كما يسطع نجم الأمل فى ظلمة القنوط ، وإذا موسيقاه القوية تدوى فى الآذان ، فيكون لها أثر فى النفوس أحلى من نداء الحبيبة فى نفس المحب المشوق، فحبس الناس الكلمات ووقفوا الأنفاس ، يتطلعون ويترقبون ، والموسيقى تعلو والفتيان يتقدمون حتى وصلت طليعتهم . . . فما استطاع ذو شعور إمساك دموع الفرح والرقة والتأثر أن تسيل ، وارتجت الأرض بالتصفيق والهتاف ، كما ارتجت من قبل بهذه الموسيقى القوية المحبوبة ، وهذا النشيد الذى يسمع من خلاله صوت المستقبل البارح وتلوح فى أثنائه خيالات المعارك المظفرة . . . وكان الفتيان أطهاراً مثل الزهر اليانع ، لدنا كأغصان الروض ، ولكنهم كانوا أقوياء كدوح الغاب ، أشداء كأسود العرين ؛ وكانوا يسيرون صفوفاً متعاقبة على عرض الشارع ، مرفوعة رؤوسهم ، منتصبة قاماتهم ،

موزونة خطاهم ، على أكتافهم بنادقهم وعدة قتالهم ، يتقدمهم قادتهم ومدربوهم والقائد العام المقدم محمود فاضل ومساعده الجرموز الأكبر بهاء الدين الطباع على الخيول البلق ، أمام الجيش الفتى

* * *

لا والله ما أحسست بالعجز مرة عن وصف ما أرى مثل عجزى اليوم . ومنذا الذى يقدر على وصف هذا الشيخ الهم ، ذى الشيبة السائلة على صدره وهو يلحظ حفيده الصغير ، يحمل البندقية ويمشى مختالاً مزهواً ، يحلم بأمجاد المستقبل ، ويذكر ما درس من أمجاد الماضى ، فلا يطيق منع الدموع أن تسيل من عينيه وتتحدر على لحيته البيضاء ... إنى لأسمعه يحمد الله على أن لبلاده جيشاً من أبنائها ولم يكن يرى إلا جيشاً واغلاً أو دخيلاً ..

ومنذا الذى يقدر على وصف هذه الأم التى أمسكت بيد طفليها الصغيرين وهما يتوثبان ليلحقا بالموكب ليريا أخاهما ، وطفقت تدعو الله دعاء هامساً يتصعد من خلال الزفرات أن يحفظ لها ابنها ، وللوطن بنيه : « يارب سلّم ، ماشاء الله كان .. يارب سلم .. » وتبكى !

ومنذا الذى يقدر أن يصف شارع الرشيد فى هذا اليوم ؟

يا أيها الرشيد ! قم تر المجد الذى بنيته لا يزال قائماً . قم تر الأحفاد قد نهضوا يسلكون طريق الأجداد . قم ترنا لم نضع الأمانة ولم نهلك التراث . قم تر مجد غازى يتصل بمجدك كما اتصل الشارع بالشارع فعادا مبيعاً واحداً ؟

هؤلاء يا مولاى عدة المستقبل ، وهذا الجيش وهذه الآمال !

* * *

وفكرت فجأة فى بلدى وأهلى ...

نحن هنا فى فرحة والنار مشتعلة فى فلسطين ، والنار توشك أن تلتهب فى الشام ! أى مصيبة لم يرها الشاميون ، وأى خطب لم ينزل بهم؟ أما خرب الأقوياء بلادهم ضرباً بالمدافع وقصفاً بالحديد وحرقاً باللهيب ؟ أما أخذوا ذهبهم وأبدلوهم به ورقاً أقفرت به الخزائن وافتقر به ذوو الغنى واليسار ؟ أما قطعوا البلاد حكومات ، وجعلوا من القرى دولات ، وقسموا الناس بدداً ليجعلوهم طرائق قدداً ؟

أفما جروا على هذا كله ؟ بلى ، لقد جروا حتى لم يبق فى قوس الصبر منزع ، واحتملوا مالا يحتمل ؟ فلما نفد الصبر ، وباد طوق المحتمل ، هبوا هبة الحليم إذا غضب ، وياما أشد غضب الحليم !

أنكون نحن فى فرحة ، وقومنا فى الشام فى ألم ؟

وكنت أشعر بالحزن فى قلبى ، ثم قلت : لا ، إن هذا هو الجيش الذى يجب أن يفرح به قومى . إن بطولة العراق وفتوة العراق صفحة من سفر المجد العربى ، كما أن تضحية فلسطين ، وجهاد دمشق ، ونهضة مصر ، صفحات منه أخرى . إن هذه كلها قوى متحدة ، تتوجه وجهة واحدة !

ثم إن دمشق لا تخاف شيئاً ولا تخشى !

ولم تخاف ؟ الرصاص ؟ لقد فتح له أهلوها صدورهم ! المدافع ؟ لقد أعدوا لها منازلهم ! اليتم والثكل ؟ لقد تعوده أبناؤهم وأمهاتهم !

إنهم يريدون أن يحيوا حقاً أو يموتوا . فهل يغلب شعب وطن نفسه على الموت ؟

* * *

وكان جيش الفتوة لا يزال يسير ، والأرض ترتج بالموسيق والنشيد والهتاف والتصفيق والدعاء والبكاء ، فعاد الأمل إلى نفسى قويا ، هذه (بيه مونت) الوحدة العربية ، هذه (بروسيا) العرب ، هؤلاء عدة المستقبل ، وهذا الجيش ، وهذه الآمال !

فياأهل دمشق ، وياأهل فلسطين ، ويا أيها العرب ، فى قاص من الأرض ودان .

اطمئنوا فإن لكم جيشاً !

* * *

ولما جاوز جيش الفتوة شارع الرشيد واتجه إلى شارع غازى ماج البحر واضطرب ، وتدفقت وراءه الجموع ، وأسرعت إلى (الأعظمية) لأدرك الصلاة ، ونفسى تضطرم بأجمل العواطف ، وأبهى الصور ، ولكن جمالها لا يستتم فى نفسى . إن فى الموكب لنقصاً ظاهراً . أفما كان فى الامكان سدّه ؟ أكانت تخر السموات على الأرض ، ويفسد نظام الكون لو قدم الموكب ساعة أو أخر ساعة ، ولم تضع الصلاة على هؤلاء الفتيان كلهم ؟

هذا هو النقص ، فياليت الوزارة لم تنسه ... يا ليتها ساقت هؤلاء الجنود كلهم إلى المساجد ليقيموا فيها الصلاة ، فإن أجدادنا ما غلبوا عدوهم إلا بالصلاة ، والالتجاء إلى الله ، وهوان الدنيا وأهلها عليهم ، وابتغائهم إحدى الحسنيين الظفر لإعلاء كلمة الله ، أو الشهادة !

إذن لكان لهذا اليوم جلال الدنيا ، وجلال الدين ، وإن فى الآتى لإصلاحاً لما مضى ، وإنه على هذا ليوم مشهود !

« بغداد » علي الطنطاوي

من ذكريات لندن

عربيد

للأستاذ عمر الدسوقي

فى لندن للمصريين نَدِىّ ، يختلف إليه الأخيار والأشرار ؛ بعضهم لرؤية صديق ، أو التزود من أبناء الوطن ، أو الاستجمام من عناء الدرس ؛ وبعضهم لقتل الوقت فى لعب الميسر واللهو فى غير كرامة ولا وقار

وكانت لنا فيه جلسات ممتعة ، لمصر منها قِسط الأسد ، ننتقد الساسة من غير تحرج ولا هيبة ، ونضع خطط الإصلاح الجريئة ، وتنفطر قلوبنا أسى ولوعة على مصر وما تعانيه ، ونحتدم فى جدال عنيف كله لمصر ولخير مصر

وفى ذات مساء ، بينما نحن جلوس حول المدفأة ، ندفع بحر ناره زمهرير الشتاء ، نجول ونصول كعادتنا ، فى السياسة تارة وفى الأدب أخرى ، إذ دخل علينا فتى فى شرخ الشباب ، رَبعة عريض المنكبين ، غائر العينين ، بارز الجبهة ، أسمر البشرة ؛ فحيا بأدب ، ثم اتخذ مجلسه بيننا ، ينصت إلينا ولا يشاركنا ، ثم بدا له فزج بنفسه فى الحديث ، وخب فيه ووضع ، وبعد لأى قص علينا قصته ، قال :

جئت ناديكم اليوم ، أطلب الغياث والنجدة ، فقد نزحت إلى لندن طلباً للعلم منذ شهرين ، وأقمت مع زوجى وابنتى الصغيرة فى منزل مؤثث ؛ وفى ذات يوم تسلمت كتاباً من سيدة انجليزية ، تعرض فيه استعدادها لخدمتنا ، مدة شهر الصوم ، وتدعى أنها مسلمة من ذوات التقى والورع ، وأن الذى حداها للكتابة إلينا ، إشفاقها علينا ، فخدعنا بكتابها المعسول ، وبرحنا منزلنا إلى منزلها ؛ وقضينا اليوم الأول لا نلاقى إلا كرماً وأريحية ، فذهبت الوحشة ، واطمأنت النفوس ؛ وخرجت فى اليوم التالى مبكراً ، وأبت متأخراً ، فوجدت زوجى تبكى وتنتحب ، وقد ضمت طفلتها إلى صدرها ، فسألتها ، ما بالها ؟

— لقد مر بنا يوم عبوس قمطرير ، قفت فيه أوصالنا من القر ، وجمدت أطرافنا من البرد ، وجاعت فيه الطفلة حتى أشرفت على الموت ، واستغثنا ربة البيت مراراً ، فلم يزدها نداؤنا إلا إعراضاً عنا وازوراراً . ذهبت إليها أستعطفها وأسترحمها ، فأرتنى وجهاً كالحاً كئيباً ، وأسمعتنى من هجر الكلام ما تعافه آذان الأحرار ، وهاأنت ذا ترانى أعانى والطفلة السغب والبرد ، وأضمها إلى صدرى لعلها واجدة فيه دفئاً أو سلوى

— ويل لها من كذوب ماكرة ! هكذا قلت ، وأنا أتنفض غيظاً وموجدة ، وبودى لو أذهب إليها فأحطم رأسها أو أهشم عظمها ، أو أمزقها إرباً ، ولكن عنّ لى أن أستعمل الحيلة حتى أخلص منها لا علىّ ولا لى . فغادرنا المنزل تواً ، وتركنا متاعنا إلى الصباح ، ثم أرسلت من يحضره ، فأبت أن ترد إلينا .

فقلت : يا للعجب ! إنى قد وقعت منها على داهية ؛ وأسرعت إلى منزلها غضبان أسفاً ، فاستدرجتنى حتى دخلت إحدى الغرف ، ثم أوصدت الباب وأحكمت رتاجه ، وأخذت تهدد وتتوعد ، وتبرق وترعد . وتقول : قد أتلفتم أثاث المنزل ولن تبرح حتى تنقدنى عشرين جنيهاً ، أو تكتب بها صكاً ؛ فكتبت ما شاءت فداء لنفسى ، وإبقاء عليها ؛ وخرجت لا ألوى على شىء ، وذهبت من فورى إلى محل الشرطة ، وذكرت ما عانيته منها ، فصحبنى أحد رجاله ؛ وما إن رأته حتى اصفر وجهها فرقاً ورعباً ؛ فسألها عن الصك فأنكرته . فقال : إنى على ذلك شهيد ، وأخرج أمتعتى عنوة ، وحذرها بالعقاب الأليم إن هى فكرت فى إيذائى . فانطلقت شاكراً له ، وحمدت الله على أن نجوت من مخالبها

ولكن وا أسفاه ! قد طاردنى شرها فى كل مكان ، فضاقت علىّ الأرض بما رحبت ؛ إذ أنها كتبت للارسالية تصمنى بالعربدة ؛ ومرضت زوجتى وطفلتى من أثر ذلك اليوم المشئوم ؛ وقد نصحنى الأطباء ألا أبقيهما يوماً واحداً فى لندن حيث لا يعين جوها على البرء والشفاء ؛ فودعتهما والدموع تنهمر ، والقلب ينفطر ، وسافرا إلى مصر على ما بهما من مرض ، وعدت أدراجى إلى منزلى وحيداً غريباً ، لا أجد مواسياً أو حبيباً

وهأنذا يا سادتى ، أناشدكم أواصر الوطنية والإخاء ، إلا أقلتمونى من عثرتى ، وانتشلتمونى من وهدتى . فقد حجب الحزن بصرى عن النظر ، وغش الأسى قلبى عن التفكير ، وكل ما أبغيه أسرة تحنو علىّ ، وتأسو ذلك الجرح حتى يندمل ، وتعيننى بعطفها على الدرس ، وبحسن معاملتها على السلوى

فحركت مأساته الأفئدة رثاء له وحدباً عليه ، وغلت الآهات

والزفرات توجعاً لمصابه ، وأخذنا نقدح زناد الفكر حتى اهتدينا إلى سبيل نزود به وحشته ، ونخفف كربته ، فقلت:

— إنى أقيم فى أسرة أحلتنى مكاناً علياً ، وأنا عندهم ملء السمع والبصر ، أتقلب فى أعطاف الهناءة والدعة ، فإن شئت أن تشاطرنى ما أتمتع به من الراحة والطمأنينة ، فلن تزيدنى إلا سروراً

— شكراً لك ، ثم شكراً ؛ إنى محتاج ليد قوية رشيدة فى هذا البلد الغريب تهدينى سبيل الحق حتى أقف على أسراره وعاداته ، ولن يسعنى حيال هذه السماحة إلا القبول ، والثناء العاطر ، والاعتراف بالجميل

— هيا بنا الآن أريك المنزل وأقدمك للأسرة ، وكن واثقاً بأنهم سيضعونك فى منزلة العزيز المكرم

أخذت ألمح له أثناء الطريق بما يؤهله لاكتساب محبة الناس فى هذه البلاد ، وأننا هنا رسل الدعاية لمصر البائسة ، فلزام علينا أن نتحاشى السفاسف والدنايا ، وأن الأسرة التى سيقيم فيها ، تربأ بمنزلها أن يدنس ، أو يكون موئلاً للفحش والخنا ، أو يكون ضيفها عربيداً ماجناً ، وخليعاً مستهتراً ؛ لأنها متزمتة وقورة ، وربها أستاذ كبير فى الموسيقى ، ولم يرمنى إلا كل ما يشرح صدره ، ولم أعهد عليه إلا التفانى فى سبيل راحتى

بدت على محياه أمارات الارتياح ، وأكد لى أنه سيكون مضرب الأمثال فى نبل الأخلاق والرجولة ، وأنى سأكون فخوراً بصحبته ، تياهاً بخلاله وسجاياه

قدمته للأسرة وزكيته وأطنبت فى مديحه ، وقصصت ما لاقاه من عنت وإرهاق ، فرثوا لحاله ورحبوا به ، وأخذوا يبعدون من مخيلته هذه الصورة المزرية عن بلاد الإنجليز وخلال أبناء التاميز ، بحديثهم الحلو ومداعباتهم الطريفة

مضى على صاحبنا أسبوع ، بدا فيه نموذجاً عالياً للأدب والظرف والدماثة والوقار ، فزدنا فى إكرامه والاحتفاء به . بيد أنه أخذ يتخلف عن جلسات الأسرة بعد العشاء ، ويلزم الصمت أثناء الطعام ، ثم يفر إلى غرفته فرار الظليم ، فرابنا أمره وخشينا أن تكون قد حلت به كارثة ، فتبعته مرة ، وطرقت باب غرفته ، فلم يجب ، فواصلت الطرق فترة غير وجيزة ، وأنا أناشده الله إلا أفضى إلىّ بدخيلته ، وبدواعى وجومه وعبوسه ؛ ففتح بعد لأى ، وشرر الغيظ يتطاير من عينيه ، وفى وجهه إكفهرار وامتقاع ، ويداه ترتعدان كالمحموم ، وابتدرنى قائلاً بصوت متهدج يفصح عن الوجل والحنق :

— ماذا تريد ؟ لن أسمح لك بدخول حجرتى ، أقصر عطفك على نفسك ، فلست حدثاً غراً !

— آسف يا هذا ! فلم يدر بخلدى أن مثلك ، وقد كان بالأمس سمحاً وديعاً ، سيظهر اليوم سافلاً وضيعاً ، ما حفزنى للمجىء إليك إلا عطفى عليك ، وظننت أنك تقاسى همًّا دفيناً ، وأنك ستهش لحديثى وتبش ، وقد جئتك لأسرى عنك ، أما وقد طرقت أذنىّ كلماتك البذيئة ، فأعد نفسى متطفلاً وأنت وشأنك

انطلقت إلى غرفتى ، موهماً الأسرة أنى لا أزال عنده وأخذت أفكر فيما عساه يكون سره ، ولم حرص جد الحرص على عدم السماح لى بدخول مخدعه ، ولكن أعيانى الفكر ، فلم أهتد إلى إجابة مقنعة ، بيد أن الشك أخذ يساورنى ، ويخيله إلىّ شيطاناً مريداً ، قد أتى أمراً إداً ، ورغب فى إخفائه عنا

جاءتنى ربة المنزل بعد يومين وأنا أتناول طعام الفطور وقالت :

— إن صاحبك هذا مأفون معتوه ، فقد خرج بملابس النوم فى الطريق لابتياع إحدى الصحف ، ولا ريب أن هذا مخل بالآداب فى عرفنا وتقاليدنا ، وأخشى أن يراه رجل الشرطة فيقبض عليه

تركت الخوان مسرعاً ؛ وهرولت وراءه ، وحاولت أن أرده إلى صوابه ، وأبين له أن خروجه هكذا خطل سيعرضه للبرد القارس ، والانتقاد المر ، وتدخل رجال الأمن ، وأن انجلترا ليست كمصر فوضى لا يعرف الناس فيها نظاماً للأزياء

— لقد نهيتك من ذى قبل ألا تعنى بأمرى ، وأن تدعنى وشأنى ، فأنا أعرف بآداب اللياقة منك

— إننا أبناء وطن واحد ، وما يلحقك من العار والمهانة سيلحقنى كذلك ؛ لن يتحدث الناس هنا بأن فلاناً أخطأ ، بل سيقولون : أحد المصريين أجرم ؛ فرفقاً بسمعتنا ، وتقبل نصحى ، فقد مضى علىّ بهذه الديار أمد غير قصير

عاد إلى المنزل وهو يزمجر كمن أخذته العزة بالإثم ، وكبر عليه أن ينصاع لطلبة غيره

عزوت كل هذه التصرفات لجهله بعادات القوم ، فلم آبه لتعنيفه وتقريعه ، وأخذت ألتمس العلل والمعاذير لكل ما يصدر عنه من فعال يندى منها الجبين خجلا أمام أناس لا يذكرون

عن مصر إلا الشوه من الحقائق . ولكن صاحبنا ظل سادراً في غوايته لا يستمع لموعظة ، أو يتعلم من تجربة ؛ فجاء ربة البيت في ظهيرة أحد الأيام ، وطلب منها أن تطهي له دجاجة على الطريقة المصرية ، فاعتذرت بأنها لا تعرف قليلاً أو كثيراً عن الطعام المصري ، وأولى له أن يباشر طهيها بنفسه ، إن كان لا يزال على رأيه .

فأخذ يكيل لها السباب ، ويؤول رفضها بامتهانها له ، وعدم تقديره ، ولج في وقاحته وسلاطته حتى أبكاها .

فذهبت محنقة تتميز من الغيظ ، وانتظرت مقدمي على أحر من الجمر ، وما أن دخلت النزل حتى قصت على قصته منفعلة ، وأصرت على طرده من النزل ، لأنها لم تسمع مثل هذه البذاءة طوال حياتها ؛ فأخذت أهون عليها الأمر ، وأعذر تصرفه هذا لشدة حساسيته ، شأن كل غريب في بداية حياته ببلاد لم يألف طباع أهلها .

ضقت بهذا النبي ذرعاً ، ولعنت الساعة التي لاحت فيها طلعته الكئيبة علينا ؛ وأعملت الفكر عسى أن أوفق إلى سبيل أصرف به هذا الوباء ، وقد أصبح كالدمل المد ، أحمله في رقعة من جلدي ، ينغص علىّ هناءتي ، ويكدر راحتي . أي شيطان رجيم سول له أن يطهى دجاجة على الطريقة المصرية ؟ ذهبت علّي أجد عنده جواباً شافياً ، وطرقت بابه بشدة وغضب ، وفي عزمي أن أعطيه درساً لا ينسى ؛ فسمعت همس سيدة من الداخل تحذره من الفضيحة إن استجاب لقرعي ، بيد أنه فتح الباب على مصراعيه ، وقال بصوت المستهتر الماجن المجازف ، الذي غاض الحياء من وجهه وكان يترنح سكراً ، ويبتسم ابتسامة داعرة :

— هذه فلانة ، وقد كانت هنا حينما أنبتك في المرة السالفة على طرقك بابي ، وأبيتُ أن أدخلك غرفتي ؛ ولا يعنيني الآن ، أن تطلع على ما كنت أخفيه ، فسوف أنتهج طريق العربدة ، ولا أعيرك أو غيرك التفاتاً .

— لكنك رجل متزوج ، ولك طفلة ، وهذا مُزْرٍ بك ، محط لقدرك ، وسيلهب أهل النزل عليك سخطاً وغضباً ؛ ثم إن ما تأتيه من النكر ، مخالف للقانون ، فليس هذا بيتاً من بيوت الخنا والدعارة ، ويخيل إلىّ أن رفيقتك لم تبلغ بعد سن الرشد ، وسيكون جزاؤك ، إن فضح أمرك ، السجن أو الطرد من هذه الديار ، فعجل بإخراجها ، وإلا داهمك رجال الشرطة .

— ها ها ... ها ها ... ! نعم أنا متزوج ، ولكني أرسلت زوجتي إلى مصر تخلصاً منها ، لا لمرضها كما أخبرتك كذباً ؛ ولست أعبأ بما يحط من قدري في هذه البلاد ، فقد استمرأت هذه الحياة بمصر وأنا لا أزال عزباً ؛ أنا مستعد لأذكر لك تاريخ حياتي ، إني رفعت راية الشر والفسق عالية خفاقة ، وما تزوجت رغبة في الزواج ، ولكن طمعاً في مال من تزوجتها ؛ وقد تنازلت لي الساذجة عن كل ما تملك ، فليس ثمة حاجة إليها بعد ذلك ، بل إني أريد أن أبين منها إلى الأبد ، حتى أكون حراً طليقاً .

نحن نختلف ، يا صديقي ، في نظرتنا إلى الحياة ؛ ولست أخشى رجال الشرطة ، فما أتت هذه الفتاة إلا طواعية واختياراً ؛ ولن أترك النزل ، بل عليك أنت أن تنادره ، إذا كان مقامي به يزعج وقارك وتزمتك . لمَ لا أنهل من مورد اللذات وأُعَلّ أينما شئت وكيف شئت ؟ أليست هذه بلاد الحرية كما ينعتها قاطنوها ؟ ليست هذه أول فتاة وليس ما ترى أول كأس من الخمر أحتسيها ، افعل ما شئت ! !

— أيها الوغد الدميم ، إنك تبحث عن حتفك بظلفك ، ولن تجد مني بعد الساعة هوادة في التنكيل بك ، تطهيراً للمجتمع من حثالاته ، وعبرة لأمثالك الطائشين ، الذين لا خلاق لهم ، ولا ضمير يعنفهم ، ولا شرف يردعهم .

أخبرت ربة البيت بكل ما حدث ، فاقشعر بدنها هلعاً ، وقطبت أساريرها احتقاراً ، وعدت ابنتها تنادي رجل الشرطة ؛ ولكن الطير قد أفلت من سجنه ، فلم نقف للفتاة على أثر ، وطُرد العربيد شر طردة ، ووضع تحت مراقبة شديدة صارمة .

هجر لندن بعد أن سدت في وجهه المسالك أنى ذهب ، وأقام في إحدى ضواحيها غير متوان عن الغواية والضلال .

علم أترابي الذين سمعوا قصته الأولى بما آل إليه أمره ، وما اقترف في حق مصر من الآثام ، وما لطخ به سمعتنا من الوصمات ، فعزموا على شكايته للقنصلية المصرية ، حتى تقصيه ، ولكن رقت قلوبهم فلم يفعلوا ، وإن كان مجهم قد بلغ أشده ، حينما علموا أنه من أعضاء البعثات ، وأنه طلق زوجه في النهاية .

ليت شعري لمَ يُوفد مثل هذا ؟ أليكون سبة لنا وعاراً علينا ، ومثلاً حياً متنقلاً تقذى منه العيون ، ويعافه المجتمع ، ويلعنه الناس أينما حل ، والبلاد التي لفظته ، والأمة التي ينتمي إليها ؟ ؟

عمر الدسوقي

أســـــطورة ... !

(تصوير مريان)



قالوا : وكيف كان ذلك ؟

قال الراوى: زعموا أن الرئيس رزفلت سفير السلام بين السامية والآرية، ورسول الوئام بين الديمقراطية والديكتاتورية، أولم لأقطاب الحكم فى الدول الأربع ذوات الرأى فى مصير العالم اليوم ولمية ليستخرج من بين الأفواه والكروش ، علل الخلاف بين الأساطيل والجيوش . فلما فرغت الصحون ، وامتلأت البطون ، دارت الكؤوس ، فدارت الرؤوس ، ونم كل لسان بكمين سره

قال الدتشى وقد نهض معتمداً على كتف الفوهرر :

إن تشمبرلين ودلادييه لا يزالان على الرياء القديم يتبجحان بالحرية والدنية والسلام ، وهما يخفيان وراء الحرية استعباد الشرق ، ووراء المدنية اهتضام الحق ، ووراء السلام الخب والشطارة . أما أنا وهتلر فمبدأنا أننا عراة جياع ، وسياستنا الصراع لا الخداع ، ووسيلتنا الإخضاع لا الإقناع . فإذا جنح خصومنا للسلام ، فليقاسمونا ما فى أيديهم من الطعام ، وإلا فالحرب التى تجعلنا سواء فى الضعف ، إن لم تظهرنا عليهم بالقوة

فنظر السيد رزفلت إلى عميدى الديمقراطية فوجدهما يتلاحظان ولا يتكلمان . فقال للرؤساء جميعاً :

— إن الذئاب تتهارش ولا تتفارس . وإنى أراكم متفقين على الغاية، بعضكم بالطيش وبعضكم بالحذر، وموافقين على هذا الرأى، بعضكم بالكلام وبعضكم بالنظر . وليس أمامكم ما يقبل القسمة إلا بلاد العروبة ! فهى التى غزتها فرنسا بالتعليم والربا ، وفرقتها أمريكا بالتبشير والهدى ، ومزقتها انجلترا بالتفريق والتجارة . وفى تقسيم القارتين العجوزين بينكم على السواء ، نجاة المدنية والديمقراطية من الفناء

قال الراوى : فانبسطت أسارير الرؤساء لهذا الرأى الصريح، وشربوا كما ترى نخب هذا الحل المريح !

ابن عبد الملك

دعيني أنام !

للأستاذ محمد سعيد العريان

دعيني أنام !

إن عينيّ لم تذوقا طعم الكرى منذ بعيد !

سنوات وسنوات ، وأنا دائب السُّرَى فى هذه الطريق أفتش عن نفسى فلا أجد نفسى ، وأنشد سعادتى فلا أجد إلا شِقوة النفس وظمأ الروح وقلق الضمير ! والطريق لا تنتهى إلى غاية ، والعثرات تتكاءد السالك فى كل منعرج وكل ثنية !

دعينى أنام !

فهل رأيتِ السعادة إلا حلماً هنيئاً يتخايل للنفس فى لحظة ناعسة ضرب النومُ على آذانها فى ليل مطبِق ؟

ما أجمل هذه الفراشة تتواثب فى مطارفها الوشّاة على أعين الناس ! ولكن هيهات أن تنالها يد ! كم جهدت جهدى فى اللحاق بها فما بلغت ... !

دعينى أنام ! لعلى أن أنالها فى سِنة حالمة تبلغ بى ما لا مَبلغ إليه فى يقظة الحياة !

دعينى ، دعينى ... ! إننى وجدت نفسى هنا ، وطالما نشدت نفسى فما وجدتُها ... !

إن بى حنيناً إلى هذا الفراش الدافئ بعد طول السُّرى وجهد السهر وكدّ الطريق !

* * *

افتحى عينيك ياعزيزتى على حقائق هذا الوجود ثم خبّرينى ...

ذكّرينى ما كان من ماضىّ ، فقد أنسانيه ما ترادف علىّ من أحداث الزمان !

هل تذكرين يا عزيزتى تلك الأيام البعيدة ، يوم كنا وليس لنا ماضٍ نأسَى عليه ، ولا مستقبلٌ نتطلّع إليه ، والدنيا تدور بالناس فى حلقتها المفرغة وتدور بنا ، فما يعنينا شىء من الدنيا ومن الناس ، وما نشعر من الزمان إلا باليوم الذى نعيش فيه ، هو كلُّ تاريخنا فى الحياة لا ماضىَ له ولا آتٍ ... ؟

ذلك زمان كان فما له من معاد !

مَن كنتُ أنا عند الناس يومئذ ومن كنتِ ؟

هل كنا يومئذ إلا فتاة وفتى قد ألّف الحبّ بين قلبيهما ؛ فما يُريان فى الطريق إلا ذراعاً إلى ذراع ، وخطوة إلى خطوة ، وقلباً يعطف على قلب ، وروحاً تهفو إلى روح ، وعلى الشفاه همسات تُخافت بهما ، وفى العيون نظرات تتناجى . والناس تنظر إلينا فما يهمنا شىء من نظرات الناس ولا من حديث الناس ؛ لأننا كنا يومئذ نعيش فى أنفسنا بعيدين عن دنيا الناس ...

هل تذكرين ... ؟

كان ذلك منذ بضع عشرة سنة ... وكنا صغيرين ... !

* * *

وجلسنا ذات يوم فى حديقة على الشاطىء ... وكانت يدك بين يدىّ وقد أطرق كلانا ، وتراءى لنا فى لحظة حُلم رائع سعيد تجاوز بنا الزمان والمكان إلى حيث لم يكن لنا عهد ، يظللنا سقف واحد فى دورة تجمعنا وتجمع لنا ما تفرق من أحلام الشباب ...

وظللت فى إطراقك وظللتُ ، نتناجى ونتبادل الأفكار صامتين ؛ فما كانت بى حاجة لأحدّثك عما فى نفسى ولا كانت بك حاجة ؛ وتفاهمنا على صمت ... ونظرتُ فى عينيك ونظرتِ ، فتضرّمتْ وجنتاكِ من حياء ، وأحسستُ يدك تختلج بين يدىّ ...

ونهضنا صامتين فأوصلتك إلى دارك وعدتُ وحيدا إلى دارى وأنا أفكر ...

وعرفنا من يومئذ أن غداً هو يومٌ من عمر الزمان ؛ وما كان يعنينا قبلُ إلا حاضرنا الذى نتعم به ...

أما زلت تذكرين ياعزيزتى ؟

ولما ضُرب الحجاب بيننا وقامت دونه التقاليد ، تلفت القلب ينظر ؛ ولزمت الوحدة أياما أعرض ذكريات الماضى ولهفة الحاضر وأمل المستقبل فعرفت ...

... عرفت يومئذ أن حقيقة الزمان ليست هى فى هذا الحاضر ، ولا فى الغد المنتظر ؛ ولكنها فى اليوم الذى مضى ولاسبيل إليه ... أمس !

* * *

حينما يكون معنى الزمان فى نفس الحى هو اليوم الذى يعيش فيه وحَسْب ، فهو فى حقيقة الحياة ومعنى السعادة ؛ فإذا سولت له

الأمانيّ أن يتعجّل أيامه فيتطلّع إلى ما قد يكون في غد ، فقد آذنته الدنيا بيوم يُطرد فيه من جنة السعادة نادما أسوان . . . ثم لا تكون إلا الثالثة ، حين يتذكر أن له ماضيا كان وطواه الزمن ؛ فما هو يومئذ حيّ يعيش في حاضره ، ولا آملٌ يفكر في مستقبله ؛ ولكنه ذكرى بلا رجاء ، ولهفة ما لها انقضاء !

الحاضر هو الحقيقة ، هو السعادة ، هو الحياة ؛ وما الغد إلا وهمٌ يبدعه خيال الحيّ ليفر إليه من حاضره الذي هو به حيٌّ يسعد بالحياة ؛ وما الأمس إلا الجزء الذي مات منا وسبقنا إلى الفناء !

ولكن الزمان على ذلك هو أمس ، واليوم ، والغد جميعاً : هذه الثلاثة هي حياة الحيّ وعمر الزمان ؛ لا سبيل إلى تجاهل ذلك بعد عرفانه !

ليتني لم أعلم ؛ ليتني لم أعلم !

ليتني ظللت حياتي أجهل معنى الزمان ؛ لا أفكر فيما كان ، ولا أتوقع ما يكون ، ولا أعرف من عمر الزمان إلا اللحظة التي أعيش فيها !

***

... وتلاقينا مرة على ميعاد ... هل تذكرين يا عزيزتي ؟ ... وجلستُ أقرأ لك فصلاً بليغاً من كتاب كان معي ؛ فتندّت عيناك بالدمع !... إنني ما أزال أذكر ذلك كأنه كان أمس ، على أن بيني وبينه عشر سنين !... لقد قلتِ لي يومئذ كلمة ما زال صداها يرنّ في أذني :

« يا عزيزي ! ليس في البشرية كلها من يقدر على خلق المعجزة التي تهزّ النفس من أعماقها غير الأديب البليغ ! »

وقلتِ كلاما آخر لا أذكره ، ولكن أثره ما زال يعمل في نفسي ؛ فجهدت جهدي لأخلق المعجزة التي تهزّ النفس من أعماقها ... ولم أذق طعم الكرى من يومئذ ...!

ليت شعري ، هل جاءك — وبيني وبينك حجاب التقاليد — نبأ ما كنت أبذل من أعصابي ومن دمي في سبيل هذه الغاية حرصاً على أن أكون يوم اللقاء كما تريدين أن أكون ؟

يا ليت يا عزيزتي ، يا ليت !

عشر سنين من عمر الشباب وأنا أُخرج للناس كل يوم جديداً في الأدب ، إلا يكنْ من إلهامك فإنه بسبيل إلى تحقيق أملك !

يترادف الليل والنهار ، وتتعاقب الظلمة والنور ، وأنا عاكف على دفاتري وأوراقي ، أكتب وأفكر جاهداً لأخلق المعجزة التي تهزّ النفس من أعماقها ...!

تُرى هل بلغْتُ ؟

هأنذا على شَرفٍ من الأرض في طريق لاحب ، وثمة بارقةٌ تلوح من بعيد ...

وما تزال الفَراشة الجميلة تتواثب في مطارفها المُوَشَّاة ، لا تنالها يدي على طول السُّرَى وجهد السَّهَر وكدّ الطريق .. حتّامَ المسير ؟

من أنا اليوم عند الناس ومن أنت ؟..

ها نحن أولاء قد التقينا منذ عام يظلّنا سقف واحد في دورة تجمعنا وتجمع لنا ما تفرق من أحلام الشباب؛ ووجدنا تعبير رؤيانا . ولكن ... أين أنا ؟ وأين أنت ؟

ماذا أجدى عليّ هذا الجهد المتواصل عشر سنين أبتذل شبابي وأنفق من دمي في سبيل المجد والشهرة والصيت البعيد !

المجد ؟ الشهرة ؟ الصوت المسموع ؟ ... ما كل أولئك يا عزيزتي في حقيقة الحياة وفي دنيا الناس ؟

واخسارة الصفقة ! إن الفراشة الجميلة لا يجتذبها شيء من كل أولئك . إنها جميعاً أوهام وأباطيل ليست من السعادة ولا هي سبيلاً إلى السعادة

أين مني نفسي وأين أنتِ مني ؟

لقد التقينا يا عزيزتي كما تراءى لنا في أحلام الشباب منذ بضع عشرة سنة ، ولكنني لستُ هنا ، ولكنكِ لستِ هنا ...!

إنك أنتِ التي أغريتني بسلوك هذا السبيل منذ سنوات وسنوات فنذرتُ نفسي للفن حتى أبلغ إعجابك ، فلا تسأليني بعدُ عن نفسي !

هذا العبوس في وجهك يا عزيزتي ألمٌ إلى آلامٍ على كاهلي ..

حدثيني صريحة : لماذا أنتِ غضبانة ؟

أنت تريدينني كما كنتُ منذ بضع عشرة سنة : فتًى لفتاة لا يشعر شعورَ الحيّ إلا معها ؟

أنت تدعيني لرحلة من مثل ما كان فى سالف الأيام ذراعاً إلى ذراع على الطريق ؟

أنت تسألينني : متى أراك إلى جانبي كعهد مضى لا يعنيكَ من أمرِ شىء إلا أن تكون لى وأ كون ... ؟

وأنت إلى كل أولئك تريدين لى المجد والشهرة والصيت البعيد ؟

لقد أذكرتِني ما كان من أمرى وأمرك يا عزيزتى، وأيقظتِ فى نفسى ما كان راقداً من زمان ؛ وهجتِنى إلى ذكرى اللهو والهوى والصبابة وسعادة الحب فى سالف الأيام ، حين لم يكن فى الدنيا غيرى وغيرك ، ولم يكن الزمان إلا اللحظة التى نعيش فيها لا ماضىَ له ولا آت !

ما كان أسعدنى بهذا الماضى !

فماذا أجدى علىّ ما نلت من دنياى بعد هذا الجهاد ؟

ها هنا شىء وشىء . فمنذا يهدينى بينهما سبيل الرشاد ؟

***

دعينى أنام !

إن عينىّ لم تذوقا طعم الكرى منذ سنوات وسنوات ...

دعينى دعينى ... إننى وجدت نفسى هنا ... !

ما المجد ، والشهرة ، والصوت المسموع ، إلا وهم من الوهم وحيلة من الحيلة لتفسد على السعيد دنياه !

لا تدعيني يا عزيزتى بعدُ إلى الجهاد والعمل . إن بى حنيناً إلى هذا الفراش الدافئ بعد طول السرى وجهد السهر وكدّ الطريق ... !

دعينى أنام لعلى أبلغ من السعادة فى سِنةٍ حالمةٍ ما لا مبلغ إليه فى يقظة الحياة !

بل دعينى يا عزيزتى أستيقظ من ذلك الحُلم الطويل الذى ضرب على عينىّ بضع عشرة سنة أهذى باسم الفن والأدب والشهرة والجاه والصيت

هذه هى الحياة ، هذه هى الدنيا ، كل ما عدا ذلك خداع وتلبيس ووهم من الأوهام !

دعينى ، دعينى !

« شبرا » **محمد سعيد العريان**

دراســـات فى الأدب

للدكتور عبد الوهاب عزام

موضوع الأدب

الإنسان إما أن يبين عن حقائق خارجة عن نفسه لا يصلها بخياله ولا يصبغها بعاطفته ، وإما أن يعبّر عن حقائق امتزج بها الخيال ولوّنتها العاطفة ، أو عن خيالات مخترعة ليست صورة من حقائق العالم

إذا قال الجغرافى فى وصف أرض : فيها أودية عميقة بين جبال عالية ، فقد أبان عن حقيقة رآها أو سمعها ؛ لم يصلها بالعاطفة فيبيّن إعجابه بها أو خوفه منها أو انبساطه أو انقباضه لمرآها أو ما تخيله حين شاهدها .

وإذا قال كاتب فى وصف هذه الأرض : « تهولك بها أودية عميقة تطلّ عليها جبال شامخة عاتية يحلق الطرف دون ذُراها » . فقد أبان عن الحقيقة مشوبة بما شعر هو به من رهبة وما تخيّل من إطلال الجبال على الأودية ، وتحليق البصر دون قممها

وكذلك يقول الجغرافى : « صحراء منبسطة مستوية طرقها متشابهة ، شديدة الحر ، كثيرة الرياح » فينقل إلى السامع صورة الصحراء لم تغيّرها عاطفته ، ولم يزد عليها خياله

ويقول الشاعر[1] فى وصف هذه الصحراء :

وَمَجْهل كاطِّراد السيف محتجز ... عن الأدلاء مسجور الصياخيد
تمشى الرياح به حسرى مولّهة ... حَيرى تلوذ بأكناف الجلاميد
موقّف المتن لا تمضى السبيل به ... إلا التخلل ريثا بعد تجهيد

فتراه قد أفاض على الصورة الطبيعية ألواناً من شعوره وتخيله

وانظر الفرق بين فلكىّ يتكلم عن الشمس طلوعها وغروبها ودورتها السنوية ، وعن القمر ومنازله ، والنجوم وحُبُكها ؛ يصف الحقيقة كما هى على قدر إدراكه، وبين من يقول ـ مثلا ـ :

منع البقاء تقلّبُ الشمس ... وطلوعُها من حيث لا تُمسى
وطلوعها حمراء صافية ... وغروبها صفراء كالورس

(١) هو مسلم بن الوليد

وقول الآخر :

مخبأة أمّا إذا الليل جنّها فتخفى وأما بالنهار فتظهر
وقد انشقّ عنها ساطع الفجر فانجلى
دجى الليل وانجاب الحجاب المستّر
وأُلبِس عُرض الأفق لونا كأنه
على الأفق الشرقي ثوب معصفر. الخ(١)

وقول ابن الرومي :

إذا رنّقت شمسُ الأصيل ونفّضت
على الأفق الغربيّ ورسا مُذعذَعا
وودّعت الدنيا لتقضيَ نحبها وشول باقي عمرها وتشعشعا
ولا حظت النّوار وهي مريضة
وقد وضعت خدًّا على الأرض أضرعا. الخ

الفلكي يصف حوادث لا صلة لها بقلب الإنسان وخياله . والشعراء يصفون شعور الإنسان بفنائه على مر الزمان ، ويتخيلون في طلوع الشمس وغروبها صوراً تخلع على الشمس شعور الإنسان وعاطفته .

***

تمثل نفسك تقرأ نظرية هندسية أو معادلة جبرية ثم تمثلها تقرأ قصيدة لشاعر نابغة أو خطبة لخطيب عظيم ؛ إنك حين تقرأ الهندسة أو الجبر لا تفرح ولا تحزن ، ولا تغضب ولا ترضى ، ولا تخاف ولا تأمن ، ولا تضحك ولا تبكي . ولكنك حين تقرأ القصيدة أو الخطبة لا تخلو نفسك من بعض هذه المعاني أو ما يشبهها.

وإذا قال طبيب : « إن مرض كذا منتشر في كل بلد » فهذا خبر لا يعبر عن شيء من عواطف الطبيب بل يخبر عما هو كائن ، ولكن أبا العلاء المعري حين قال :

ما خص مصرًا وبأ وحدها بل كائن في كل أرض وبأ
أنبأنا اللب بلقيا الردى فالنوث من صحة ذاك النبأ

أراد أن يبين عما يحيط بالإنسان من الآفات ويعرب عن خوف الإنسان وحزنه في هذه الحياة ، وإنما ذكر عموم الوباء وسيلة إلى الإبانة عن آلامه ومخاوفه

وهكذا يستطيع الناظر في هذا الموضوع أن يوالي الأمثلة في غير عسر .

***

كل ما أبان عن عاطفة أو خيال صلح أن يكون موضوعا للأدب ؛ وهو مادة الأديب يؤلف منها أدبه . ولكن من هذا البيان ماهو شائع بين الناس يشترك فيه الخاصة والعامة والصغار والكبار، فهذا لا يعد في الأدب وإن اتصل بالعاطفة والخيال ؛ فلا بد من سمو الإدراك ، وجودة التصوير . لا بد من الصنعة أو الفن . لا يُعد الإنسان مصورا حتى يجيد التصوير ، ولا يعد نجارا كل من نجر خشبة أو دق مسمارا بل لابد أن تكون له صنعة لا يستطيعها كل من حاولها . كذلك ليس كل من عبّر عن عاطفة أديبا. لا ! حتى يكون في بيانه إدراك يرفعه عن العامية والابتذال ، وصنعة تميزه عن الدهماء وتميزه باسم الكاتب أو الشاعر أو الخطيب الخ — حتى يأتي بكلام معجب يحس فيه سامعه أو قارئه إدراكا قيماً ، وتصويراً بارعاً كما تُرى صنعة نجار فيُعرف أنها عمل لا يستطيعه كل من وجد الخشب وآلات النجارة .

الحزن — مثلا — عاطفة تبين بالوجوم والصياح ، والأنين والبكاء، والعبارة المعتادة، والقصيدة. وكل هذه الدلالات تبين عن العاطفة ولكن لا يُعد من الأدب إلا القصيدة .

وكذلك الأمور النفسية الملونة بألوان النفس تملأ كلام العامة والخاصة ولكنها لا تحسب أدبا حتى ترتقي إلى مستوى الفن ، وفي هذا درجات تتوالى إلى حد الإعجاز .

الفرق بين الأدب والعلم

يتبين مما تقدم أن قضايا العلوم المحضة ليست مادة للأدب ؛ فإذا قلنا : زوايا المثلث تساوي زاويتين قائمتين ، أو الخط المستقيم أقصر خط بين نقطتين ، أو حاصل ضرب خارج القسمة في المقسوم عليه يساوي المقسوم ؛ أو هذا الدواء ينفع لهذا المرض الخ فهي قضايا علمية ليست من موضوع الأدب في شيء

ليست هذه القضايا من الأدب ولكن يجوز أن تدخل فيه لتكون مقدمة لغيرها أو للتشبيه بها أو نحو ذلك كما قال المعري :

طرق العلا مجهولة فكأنها صم العدائد ما لها أجذار

وقوله :

الخلق من أربع مجمعة ماء ونار وتربة وهوا

والكتب العلمية ليست من مباحث الأدب إلا أن ينظر

(١) ديوان المعاني جـ ١ ص ٣٧٩

الأديب إلى حسن البيان فيها والترتيب والتقسيم ووضوح الألفاظ فيجوز للفن أن يتناولها من هذه الناحية

فإذا اتحدت المسائل في كتب علمية واختلفت أساليبها فقيل هذا الكتاب واضح العبارة ، صحيح الألفاظ ، جيد الأسلوب فهذا تقدير موصول بالفن يجعل الكتاب من هذه الناحية ذا صلة بالأدب . ويستخلص من اختلاف موضوعي العلم والأدب هذه الفروق بينهما :

١ — الأدب مرجعه نفس الإنسان ، والعلم مرجعه الطبيعة

٢ — فمقياس الأدب صدق التصوير لما في النفس خطأ أم صواباً ، ومقياس العلم صدق الإدراك للحقائق الواقعة دون نظر إلى أثرها في النفس

٣ — والأدب الإنساني موضوعه الإنسان : سعادته وشقاؤه في هذا العالم . والعلم يستوى عنده الإنسان والحيوان الأعجم والنبات والجماد . فالطبيعي يبحث في قوانين الطبيعة السارية في هذا العالم ، والحيوي يبحث عن قوانين الحياة في الأجسام الحية ، والطبيب يشرّح الأجسام ليتبين تركيبها . وهم في هذا البحث يتحرون الحقائق كما هي لا يبالون أن تكون في الإنسان أو في غيره .

وأما الانتفاع بنتائج العلوم في إحياء الإنسان أو قتله وإسعاده أو إشقائه ، فهو أمر خارج عن موضوع العلم

٤ — والآراء والكتب العلمية تترك إذا تبين خطؤها أو كتب ما هو خير منها فلا يرجع إليها إنسان إلا إذا أراد أن يؤرّخ العلم ؛ فلا تجد من يقرأ في كتاب هندسة أو حساب قديم وقد كتب ما هو أحسن منه ؛ ولكن كتب الأدب تتضمن عواطف الإنسان فأيان اطّلع القارئ فيها وجد عاطفة إنسانية تؤثر في نفسه لا يضيرها الخطأ أو القدم . فنحن نقرأ اليوم شعر هومير وشعر امرىء القيس وغيرهما ، ونجد فيه من متعة النفس ما نجده في الشعر الحديث

اختلاف المنشآت الأدبية

قد تبين أن مدار الأدب على العاطفة والخيال والأمور النفسية لا الحقائق الثابتة خارج النفس . وليست كل القطع الأدبية سواء في ذلك ، بل تتفاوت قرباً من هذا المركز وبعداً . وأدخلها في الأدب أقربها إلى المركز . وفي الأدب موضوعات يقل نصيبها من العاطفة والخيال حتى تنتهي إلى المحيط الذي يفصل الأدب عما سواه ، ويكاد يشك القارئ أنها من الأدب

ومن أجل ذلك اختلف النقاد في شعراء من أئمة البيان كأبي تمام والبحتري والمتنبي وأبي العلاء . قال بعض النقاد : المتنبي وأبو تمام حكيمان وإنما الشاعر البحتري . ويميل بعض النقاد إلى إخراج لزوميات المعري من الشعر . والحق أن دواوين هؤلاء الشعراء جميعاً تحوي أدباً لا علماً ، ولكن حظها من العاطفة وعمل الخيال يختلف ؛ فتجد البحتري أكثر نصيباً من العاطفة والخيال في جملة شعره ؛ وأبو العلاء في لزومياته أقل حظاً منهما ولكنه لم يخرج عن دائرة الأدب . وأبو تمام والمتنبي بين عاطفة البحتري وحكمة أبي العلاء

وبهذا يفسر قول القدماء : «أعذب الشعر أكذبه» فالأكذب أدخل في الخيال وأبعد عن الحقيقة . ولكن ينبغي ألا يخدعنا هذا القول ؛ فربما نجد الشعر القريب من الحقيقة والبعيد عن الخيال أعذب وأحب إلينا من شعر كثر خياله وبعد عن الحقيقة . وقد تبين العاطفة قوية واضحة حيث لا خيال كما يؤثر مرأى الطفل الحزين في رائيه ، ويعجب المنظر الجميل شاهده ، وليس هناك إلا الحقيقة المؤثرة

انظر قول كثير عزة :

خليليّ ! هذا ربع عزة فاعقلا ... قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت

لا تجد فيه مجازاً ولا استعارة ولكنه مثّل لك الشاعر واقفاً على دار عزة وقد خلت منها وهو يطلب إلى صاحبيه أن يعقلا ناقتيهما ليفرغا للبكاء معه . ليس في هذا تخيل ولا صنعة ولكنه يكشف عن عاطفة محزونة ساذجة لها أثرها في نفس الانسان

وانظر هذه الأبيات :

أقول لصاحبي والعيس تهوى ... بنا بين المنيفة فالضمار
تمتع من شميم عرار نجد ... فما بعد العشية من عرار
ألا يا حبذا نفحات نجد ... وريّا روضه بعد القطار
وأهلك إذ يحل الحيُّ نجداً ... وأنت على زمانك غيرُ زارى
ليال ينقضين وما شعرنا ... بأنصاف لهن ولا سرار

إنك تجد في هذا الشعر الطبيعي الصادق الخالي من الكذب والخيال والإغراق من الإبانة عن العاطفة ما لا تجد في شعر متكلف قد أغرب فيه الخيال وافتنّت فيه الصنعة

عبد الوهاب عزام

استطلاع صحفى

الأندية الأدبية فى مصر

نادى الحلمية

لمندوب الرسالة الأدبى

مقهى ضئيل المنظر ، تافه الموقع ، يطل على ميدان ضيق محدود ، يعج بالسابلة ، ويضج بالحركة ، وترتفع فيه أصوات الترام والسيارات منحدرة من القلعة وصاعدة إليها ، فلا رواء فيه ولا بهاء ولا شىء مما يبعث الشعر ويهز الفكر ويحبب إلى الأدب ، ويغمر النفس بشعور الرضا والاطمئنان ؛ ولكنه على الرغم من هذا كله مهوى الشعراء والأدباء ، ومراد الأفكار والآراء ، وله فى ذلك عمر طويل وتاريخ حافل

ترى ما الذى حبب هذا المكان إلى إخواننا الأدباء وهم طلاب الهدوء والسكون ، وعشاق المناظر الشعرية اللطيفة ؟! أهى تلك الدرجات الأربع التى يصعدها الداخل إليه فتشعره بالرفعة والصعود والعظمة ! وحب العظمة شىء فى نفوس الأدباء ؛ أم هى تلك الديمقراطية الصريحة التى يتميز بها ذلك المكان ، إذ يجلس القوم فى غير كلفة ، والتملص من الكلفة شىء محبوب لدى الشعراء ؛ أم هى قلة النفقة ، والأدباء لا شك قروشهم معدودة ، وجيوبهم مكدودة ، فهم يرتاحون إلى قلة المصاريف وعدم التكاليف ؟!

أنا والله لا أدرى السبب فى ذلك . ولقد سألت إخواننا الأدباء أنفسهم فما وجدت عندهم شيئاً من علم ذلك السر ، بل لقد ذكر لى الشاعر « الأسمر » أن أدباء الحلمية تمردوا منذ سنوات على ناديهم ، وحاولوا أن يكون مجلسهم فى مقهى فخم بميدان الأوبرا حتى يليق بمكانتهم ، ولكنهم فشلوا فى تمردهم ، وعادوا إلى مكانهم صاغرين ! حيث ما زالوا يصعدون الدرجات الأربع ! وقد يكون للمسألة تعليل من التاريخ ، فلنرجع إلى التاريخ

إن نادى الحلمية يتصل بحى الحلمية ، وحى الحلمية حى يتميز بطابع خاص ، وينفرد بتاريخ حافل ، وهو أول حى أسس فى مصر على طراز منظم ، وقد كان موطن الأسر العريقة والسلالات التركية التى تحكم البلد ، وتملك ثروته ؛ وقد كان لهذا الحى ناد يشرف على شارع محمد على فى مواجهة جامع قوصون ، وكان يختلف إليه كثير من الكبراء والأدباء الذين يقطنون ذلك الحى ، فكان يجلس فيه المرحوم حسين باشا رشدى ، والمرحوم شوقى بك قبل أن ينتقل إلى المطرية ، وحفنى ناصف ، وإبراهيم هلال ، وحافظ إبراهيم ، والشيخ عبد المطلب ، وأحمد نسيم ، وأحمد الزين ، وبيرم ، والهراوى ، وعماد ، والسيد حسن القاياتى ، وكان يتردد عليه المازنى أيام كان يسكن بالإمام ؛ وقد أخبرنى الهراوى أنه لا يذكر أديباً فى مصر لم يتصل تاريخه بذلك النادى القديم ، وإنه ليتحدى من ينكر الجميل على أصحابه ، وإنه على استعداد لأن يذكر من لا يذكر ماضيه !



الأساتذة : الأسمر ، حسين شفيق ، عبد الرسول ، الهراوى

وقد ظل ذلك النادى قائماً أيام الثورة المصرية ، فانتقل إليه الشيخ مصطفى القاياتى رحمه الله ، وكان الشيخ القاياتى عنصراً قوياً من عناصر الثورة ، وكانت له حاشية حافلة بالشباب المفكر الجرىء أمثال الشيخ عباس الجمل ، والشيخ الجديلى ، والشيخ البنا ، والأستاذ إبراهيم عبد الهادى ، وأضرابهم ، فاختلط الأدب بالسياسة بين جدران النادى ، فكانت تنطلق منه التدابير المفزعة والقوافى المقذعة ، فضاق به الإنجليز ، وأطلقوا عليه الرصاص ؛ وللهراوى فى ذلك شعر ...

فلما كان سنة ١٩٢٦ مات صاحب المقهى ، فانفض السامر ، وانقطع الزائر ، وبطل الندى الحافل ، وقام مكانه مطعم للفول ومستخرجاته ، والمدس بجميع ألوانه ؛ وراح الأدباء يتلمسون المكان الذى يجمعهم ، فتأخروا خطوات عن جامع قوصون إلى جهة القلعة فوقعوا على النادى الذى هو مجمعهم اليوم ، والذى هو موضوع حديثنا فى ذلك المقال

ولقد غدا النادى الجديد صورة كاملة للنادى القديم ، تحفل بالأدباء والشعراء ، وعمرت مقاعده بمجالسهم فى الليل والنهار ،

وقصده الكبار فى الأدب والصغار !

فكان يجلس فيه الشيخ عبد المطلب شاعر البادية ، والحاج محمد الهراوى شاعر الأطفال والرجال ، والأسمر أديب القبلتين وشاعر الأزهر ، والزين شاعر دار الكتب ، وحسين شفيق المصرى الشاعر الحلمنتيشى المعروف ، والدكتور زكى مبارك عبقرى سنتريس ومعبود باريس ، والسيد حسن القاياتى شاعر النبل والورع ، و (مجنون) إحسان . وكان ينضم إليهم كثير من شباب الأزهر ودار العلوم وغيرهم ممن يشدون بالأدب ويعملون فى الصحافة ؛ وكان حافظ رحمه الله يتردد عليهم من وقت لآخر خصوصاً فى الفترة التى أحيل فيها على المعاش ؛ وبين جدران ذلك النادى نظم قصيدته الطويلة فى هجاء صدقى باشا التى لم ينشر منها فى الديوان إلا أبيات ...



الأسمر ، فهمى عبد اللطيف ، عبد الرسول ، الهراوى يأكلون الجزر

ولقد استبدت تكاليف الحياة ومطالب العيش بكثير من الأدباء فألهتهم عن مجالس السمر ، وحرمتهم من ذلك المجلس الطيب الشعبى ، ولكن ما زال النادى عامراً بأبنائه المخلصين ، وما زال المتخرجون فيه يهبطون عليه بين وقت وآخر حتى الذين يسكنون فى الضواحى على بعد الشقة وكثرة الكلفة . ويا له من حنين طيب ووفاء عجيب ! وقديماً قيل (ما الحب إلا للحبيب الأول)

ويعتبر الهراوى فى هذه الأيام عميد نادى الحلمية ، أو عمدة مصطبة الحلمية كما يقول صديقنا الدكتور زكى مبارك ، أو شيخ السقيفة على حد تعبير المهدى مصطفى الشاعر الظريف

فالهراوى من الجلساء المخضرمين أدرك النادى السابق وكان من رجاله ، وأسس النادى اللاحق وآثره بكثير من عطفه وإخلاصه ، فقل أن يتغيب عنه فى يوم من الأيام ودائماً يحلو له أن يأخذ مجلسه عند المدخل على سفح (الدرجات الأربع) ومن حوله الأسمر والشيخ عبد الرسول ومرتضى الخطاط ، أجزاء لا تتجزأ وعصبة لا تفترق

وأدباء الحلمية نمط واحد وطراز متفق ، ولهم ذوق عملت فيه الثقافة العربية أكثر من أى شىء آخر ؛ وهم يعشقون الديباجة القوية السليمة ، ويطيرون بالأساليب المشرقة المونقة ، ويذكرون شوقى وحافظ وعبد المطلب بالخير والحمد ، ويترحمون على المنفلوطى والرافعى وأضرابهما ؛ والزين لا يعدل بالزيات أديباً فى مصر بل فى الشرق . وهم يضحكون من أولئك الشعراء والأدباء المستغربين الذين يذكرون جوته وشكسبير ولا يعرفون المتنبى والبحترى وشيخ المعرة ، ويسميهم الهراوى بدجاج القريض ، وفى رواية أخرى ببغاث الشعر .

وكثيراً ما يدخل أدباء الحلمية فى مناقشات حادة ، وجدال عنيف ، يصل ضجيجه إلى الشارع ، ويطول فيه اللسان ويسفه ، ولكنهم دائماً خلصاء أصفياء على الكراسى متقابلين .

ويجرى أدباء الحلمية فى فنون وأمشاج من أحاديث الأدب والنقد والدعابة ، فإذا كان الحديث فى ذكريات الماضى ، فالهراوى فارس الحلبة ، يزكيه الشيخ عبد الرسول ؛ وإذا كان القول فى أخبار الأدباء والشعراء فالحكم للزين والويل لمن يعترض ؛ وإذا تكلم القوم فى الشعر رأى الأسمر أن يخرج من وقاره فيخبط ويضع ؛ فإذا انتهى القوم إلى الدعابة حاولوا جميعاً أن يمدوا ألسنتهم ؛ ولكن لا يلبث الشاعر الحلمنتيشى أن يضع يده على رؤوس القوم وأن يجرفهم بتياره الزاخر ، حتى يقول كل منهم لصاحبه : انج سعد فقد هلك سعيد .

وقد يبتدىء القوم حديثهم فى شىء يهمهم ، أو فى مشكلة تعنيهم ، ولكنهم سرعان ما يخلعون عليه ثوب الأدب ويجعلونه حديث السمر .

فهذا الشاعر الأسمر قد جاء فى أمسية يشكو إلى إخوانه أمر ساعة أهداها إليه صاحبه الهراوى فأتعبته وصارت تمشى كما يقول الأسمر تارة (عربى) وتارة (أفرنجى) وتارة لا عربى ولا أفرنجى ، أما الدكتور حسين الهراوى فتناولها ثم جس نبضها وقال :

هذه (عندها ضغط دق) وهى (تحتاج إلى الراحة التامة) .

وأما الدكتور زكى مبارك فنظر إليها ثم اندفع ينشد :

واهـاً لبعض الهدايا   بعض الهدايا رزايا
ساعات باريس عندي   لها جميع المزايا
تدق دقاً لطيفاً   كمثل همس مُنايا
وساعة الهراوى   أولى ببعض التكايا
تدق دقاً عنيفاً   كما تدور رحايا

وأراد أن يسترسل فى إنشاده فهدده الهراوى بإهداء (منبه) إليه ، فأمسك وجبن

وأما الأستاذ حسين شفيق المصرى فقال : « دى ساعه دايره على كيفها » و (ماشيه مشى مسخره) و (قلبها فاضى) و (عاوزه بوليس يضبطها) و (الساعاتى لما يشوفها قلبه يدق) و (أنها الساعة التى هى أدهى وأمر ...)

وكان مجلس طيب لم يسع الهراوى نفسه إلا أن يسجله بالشعر فقال :

وساعة أهديتها   إلى الأديب الأسمر
حسبتها فى مخبر   كما لها من مظهر
فظرفها من معدن   مرقش منمّر
فمن بياض فضة   إلى سواد عنبر
وعقربا مينائها   من النضار الأصفر
أحجارها كأنها   من لؤلؤ وجوهر
فلم يكن كمثلها   هدية من موسر
ولم يكن كمثلها   من بائع لمشترى
وليس من تقدم   فيها ولا تأخر
تمشى عليها الشمس فى   عطارد والمشترى
وقد ظننت أنه   بمثلها لم يظفر
حتى احتوانا مجلس   نزجر بالتندر
فمن طبيب ماهر   إلى أديب عبقرى
وكاتب مفكر   وشاعر مصوّر
فجاءنا الأسمر فى   زمجرة الغضنفر
ثم رمى بساعتى   بهيئة المستنكر
وقال فافتح محضراً   واذكر وقل فى المحضر
بأننى من ساعتى   ومنك فى تحيّر
فإنها تذبذبت   من سنة فأكثر
فتارة تقدَّمُ   إلى مدًى لم يحصر
فتسبق الليل إلى   صباحه المبكر
وتارة تأخُّر   لغاية لم تقدر
والآن فانظر ترها   فى وقفة المتكبر
وإن ما ذكرته   دون الذى لم أذكر

* * *

فقلت مهلاً يا أخى   فضحتنى فى معشرى
فانهمرت نكاتهم   مثل السحاب الممطر
فقائل : حق نشو   ق لفقيه أزهرى
وقائل : محبرة   من اختراع (بَرَكر)
وقائل : رقاصها   يحتاج للمجبر
وقائل : قوموا بنا   نسأل عنها السمكرى
فقلت كفوا ساعة   عن ساعة لم تستر
أليس منكم عاذر   حتى أخى لم يعذر
إن قصرت فإنها   فى زمن مقصر
آليت لا أهدى لكم   شيئاً — يمين منذر
ومن أراد ساعة   فليشتر أو يكتر

وكم فى (نادى الحلمية) من مثل هذه المجالس الطيبة لو احتفل أديب بتسجيلها لحفظ للناس كثيراً من السمر الطيب والدعابة الحلوة والأدب الرائع ... ولكن هيهات

م . ف . ع

السلام

نظم الصورة القلمية المنشورة في العدد ٢٨٩ من الرسالة

« مهداة إلى الأستاذ ابن عبد الملك »

للأديب عبد الحميد الهيتي

ذي صورة في وجيها صادقة ... توحي إلى الشاعر
صامتة لكنها ناطقة ... في منطق ساحر
الأمن في صفحتها الشارقة ... يشرق مثل الأمل الزاهر
والخلق في ساحتها غارقة ... في أمنها هادئة الخاطر

***

هنا قطيع الغنم الرائع ... في عيشة راضيه
منبثة في حقلها الواسع ... آمنة لاهيه
فبعضها في وقفة الخاشع ... وبعضها جاثية غافيه
يا عجباً للحمل الوادع ... ترضعه الأم على ناحيه

***

قد نام عنها كلبها الحارس ... على أثيث العشب
كأنه وهو به طامس ... من نومه لم يهب
قد نسي الذئب ولا هاجس ... يمر في خاطره أو يدب
حتى ولم يهمس له هامس ... في الطيف ما يدعوه أن يكتئب

***

هناك بالقرب من الساحل ... عائلة تبسم
ما فكرت في الزمن الزائل ... ولا الذي يقدم
تلهو بصفو الزمن المائل ... لها ولا في غيره تحلم
يا لجلال الأسرة الكامل ... لو خط في الوسم أب مفعم

***

هناك عن بعد على اليمين ... مغروسة أشجار
ريانة مورقة الغصون ... توقرها الأثمار
وربما في عشها المكين ... آمنة تزقزق الأطيار
قد نسيت مرارة السكين ... ولم تداهم عشها الأخطار

***

أرى طيوراً في السما حائمات ... من مرح صادحه
في هدأة الكون مضت سابحات ... غادية رائحه
فلم تروع سربها الطائرات ... ولم تجئ قاصفة صائحه
والبحر رهو فوقه الباخرات ... تمخر لا تجتاحها جائحه

***

يا صورة صور فيها السلام ... صورته الخالده
توحي كوحي الصحو بعد الغمام ... في الأنفس الراقده
ما السلم إلا الغيث في الابتسام ... والحرب إلا السحب الراعده
فلسفة الله هما في الأنام ... ضلت بها ألبابنا شارده

« هيت » عبد الحميد الهيتي

قصائد في أبيات

للأستاذ محمود غنيم

المطر

بدت الأرض مرة في الشتاء ... ثرة مثل صفحة الدأماء
فسألت الغمام هل بك خطب ... مثل خطبي حتى بكيت بكائي
قال لا بل دنستم الأرض بالإثـ ... ـم فطهرت وجهها بالماء

لؤلؤة

شاهدت لؤلؤة كالبرق تأتلق ... على جبين أمير سار مختالا
فقلت ما أنت؟ قالت إنني عرق ... من جبهة الزارع المسكين قد سالا
الناس تنعم والفلاح يحترق ... وليس يحرز لا جاهاً ولا مالا

السعادة

لم أدر ما طعم السعادة في الصبا ... فإذا بها موفورة أسبابها
حتى إذا أصبحت أدرك كنهها ... سلب السعادة من يدى سلابها

الغرب

قلت للشمس يا عروس السماء ... إنما تغربين في عين ماء
فلماذا لحت وجهك إذ أشـ ... ـرق مثل العقيقة الحمراء
قالت الشمس إنما طفت حول الـ ... ـغرب والغرب سابح في الدماء

محمود غنيم



أرض تدور
وإنسان يحيا ويموت
للدكتور محمد محمود غالي

الفراغ الذي نتنقل في أنحائه — الزمن والحوادث — الأرض التي تدور — الكون مجموع العوالم — الانسان يحيا ويموت

نبدأ الكلام عن الفراغ أو الحيز الذي نتنقل فيه، ونتكلم عن الزمن الذي يمر علينا لاتصالها بفلسفة كل علم، وأي علم نستطيع أن نتعلمه أو فلسفة نستطيع أن نناقشها لا يكون الفراغ والزمن عاملين أساسيين في دراستهما؟ هذان العاملان ظلا أساساً للعلوم من عهد المصريين والإغريق؛ فليس في وسعنا أن نتحدث عن الأرض والكون والإنسان المفكر دون أن نرجع مبدئياً إلى هذين البحرين اللذين تكتنف لججهما جميع المخلوقات: الحيز والزمن. وسنعرض لهما في هذه الكلمة حسب الأوضاع التي ألفناها فلا نتعرض اليوم لفهمهما وفق أحدث الآراء

أما الفراغ أو الحيز Espace فإننا نلمسه بحواسنا وندركه بتحركنا. كلنا يعلم أننا، ونحن في مكان معين، نستطيع أن ننتقل شرقاً وغرباً أو شمالاً وجنوباً أو إلى أعلى وأسفل، كما نستطيع أن ندور حول نقطة ثابتة، أو نكون في حالة نلقى فيها حركتنا مجموعة من هذه الحركات كحركة شخص داخل سفينة تتأرجح فوق عباب الماء بالنسبة إلى منارة على شاطئ البحر

وأما الزمن وفق تصورنا البدائي فكلنا يعرفه ويدركه بالحوادث التي تقع لنا، فنقول: لم نر فلاناً منذ رحيله للأسكندرية، ونقدر طول غيبته بعدد من الأيام، وينشأ من ذلك أن أهم الحوادث بالنسبة لنا دورة الأرض حول محورها، فهي التي تولد الليل والنهار ويسمى مجموعها «يوماً» وقد اعتدنا تقسيمه إلى ٢٤ ساعة، وكان من الجائز أن نقسمه إلى عشرين ساعة أو عشر، فتقسيم اليوم إلى أي عدد من الساعات عمل اعتباطي من اختيار الإنسان لا دخل للطبيعة فيه. فلو أننا اتفقنا على أن نجعل اليوم عشر وحدات جديدة تسمى كل منها ساعة لما احتجنا إلى إدخال أي تغيير في آلات قياس الزمن التي نسميها «ساعة» سوى تغيير في تقسيم ميناء الساعة

أما دورة الأرض حول الشمس التي يتكون منها السنة والفصول فتحوي ٣٦٥ يوماً وسدس اليوم تقريباً، وهذا العدد ليس اختيارياً كعدد الساعات في اليوم، وإنما هو حدث طبعي لا نستطيع تغييره؛ فقد لوحظ أنه بمرور كل عام أي بإتمام كل دورة للأرض حول الشمس يتكون هذا العدد من الليل والنهار

أما فترة الحياة للانسان فهي تختلف لكل فرد، فليس من الميسور لنا أن نعين الذين ستنتهي حياتهم هذا الأسبوع من أهل القاهرة وإن كنا نعرف من مجموع القاهريين أنه يولد في الأسبوع القادم حوالي التسعمائة ويموت حوالي الخمسمائة ...

ونحن أكثر إحساساً بالزمن منا للحيز، فإن الزمن يتغلغل في مشاعرنا، وفترة من الزمن أقرب لإحساسنا من مسافة في الفراغ. وقد يخطئ المرء في تقدير أو مقارنة مسافتين ولكنه لا يخطئ في إدراك وترتيب حادثين؛ فإذا وقفنا في ميدان الأوبرا فقد لا يسهل علينا أن نعرف أيهما أقرب إلينا: مسجد القلعة أم الجامعة المصرية بالجيزة. بل كثيراً ما يخطئ المرء في تبين الأطول من بين اثنين من أصدقائه رغم تكرر رؤيته إياها

أما شعورنا بالزمن فلا يتسرب إليه الخطأ. فنحن واثقون أن حصولنا على تذكرة الترام حادث لاحق لارتقائنا إياه، وأن وجودنا به حادث لاحق لمبارحتنا المنزل. وإذا اشترينا صندوقاً من السجائر فما لا يداخلنا الشك فيه أن الكتابة المطبوعة على ذلك الصندوق قد تم طبعها قبل شرائنا إياه، وعندما نذهب

بأولادنا إلى المدرسة لا يكون ثمة ريب فى أن حادث ولادتهم سبق بكثير دخولهم المدرسة. ويدخل عامل الزمن فى التجارب العلمية، ففى مقدور العلماء أن يقيسوا فترات صغيرة جداً منه، وقد بين لى الأستاذ جييه Guillet فى إحدى زياراتى له كيف نتوصل إلى قياس فترة من الزمن لا تتجاوز جزءاً من خمسة ملايين جزء من الثانية. ولا متسع هنا لشرح التجارب الخاصة بهذا التحديد الدقيق



شكل (١)

على أن كل هذه الحوادث قصر أم طال مداها تتعين بأمر ثابت لنا هو: دورة الأرض حول الشمس التى نسميها عاماً. فعندما يقول إنسان لقد مضى على إقامتى بهذه الدار ثلاث سنوات وستة أشهر، فمعنى ذلك أن الأرض فى مدارها حول الشمس عادت لمكانها الأول ثلاث مرات، ولا تزال سابحة فى دورة رابعة قطعت منها نصف الطريق

* * *

كل الكائنات، وكل ما فى الحياة، وكل شىء نستطيع أن نحس به أو نراه، يكتنفه أو يشمله هذان البحران: الفراغ والزمن. إذ لا يمكن لخيالنا وحواسنا أن تتخيل أو تستوعب شيئاً كائناً ما كان غير موجود فيهما، فهذه النملة فى طريقها على هذه البقعة من الأرض تقطع هذه المسافة فى الحيز ويمر عليها الزمن. وهذه الأرض التى تحمل النملة وتحملنا تقطع أيضاً فى هذه الفترة جزءاً من طريقها الذى تدور فيه حول الشمس. وهذا الحجر من أحجار الهرم يشغل حيزاً معيناً وقد مضى عليه أكثر من خمسين قرناً وهو فى هذا الوضع؛ أعنى أن الأرض قد دارت حول الشمس منذ وضعه أكثر من ٥٠٠٠ دورة، وحول نفسها حوالى المليونين من الدورات، وليس هذا عمر هذا الحجر منذ تكونه، بل هو الفترة التى مرت على وضعه بين هذه الأحجار. أما عمره فمن عمر تكوين الأيوسين وهو عصر جيولوجى بعيد قد ولى منذ ٦٠ مليوناً من السنين

ولو التزمنا جانب الدقة لقلنا إننا نحن والحجر أقدم من ذلك بكثير فإن العناصر التى نشأنا منها ترجع إلى تكون الأرض التى يغلب على الظن أنها انفصلت عن الشمس؛ فكل ما نتكون منه كان موجوداً منذ تلك اللحظة التى لعلها تبعد فى الزمن ألفى مليون من السنين، بل كان موجوداً قبل ذلك منذ تكون الشمس، بل قبل تكون السديم الذى نشأت منه الشمس، بل منذ كانت الخليقة ..

هذا هو الحيز حسب الإدراك البدائى والزمن وفق الوضع البسيط. ولكن تصور العلماء لهما قد تغير اليوم

فى رواية تناقلتها الصحف إبان الضجة التى أثارتها نظرية إينشتاين فى النسبية أن ابنه سأله ذات يوم أن يوضح له تلك النظرية؛ فأجابه: إنه لو فرض جدلاً أن كائناً سيسافر بسرعة تقرب من سرعة الضوء واتفق مع مودعه أن يغيب عنه سنة فإنه لا يحق له عند وداعه على المحطة أن يقول له: إلى اللقاء! لأنه عند ما يعود هذا المسافر بعد عام يكون قد مر على الذى ينتظره مائتا عام، وبذلك يكون قد ثوى فى رمسه منذ نيف ومائة سنة

هذا الوضع الجديد فى الزمن والحيز الذى كان الأساس فيه معادلات لورنتز Lorentz يختلف عما عهدناه، وسنرجئ الدخول فى فهمهما إلى مقال آخر

أما فى هذه الأسطر فلدينا مسألة أكثر بساطة تتعلق بالأرض التى نعيش عليها والكون التى هى جزء منه

* * *

لئن كان بين الشموس ما يقرب حجمه من حجم الأرض، فإن أغلبها كبير لدرجة أن ملايين الأرض ممكن أن تدخل فى إحداها وتدع مكاناً لملايين غيرها. وليس لنا أن نعجب من هذا، فلو أن قروياً لم يخرج فى حياته عن بلدته لظن أن كل ما على الأرض من ماء هو من نوع الجداول والسواقى التى اعتاد أن يراها فى حدود موطنه الضيق. وما أشد ما تتملكه الدهشة حين يسافر بالبحر للحجاز مثلاً أو لأوربا فإن هذه البحار التى يعبرها تحوى من الماء

ملايين أمثال ما تحويه الجداول التي اعتادها

على أن ملايين الملايين من هذه الشموس تكون عالماً واحداً كعالم المجرة الذى شمسنا إحدى شموسه — ويدلنا العلم اليوم أن ملايين الملايين من العوالم تكون الكون

ينتج من ذلك أن الأرض بقاراتها ومحيطاتها هى بالنسبة للكون كشوكة من أشواك التين بالنسبة لإقليم متسع غرس فيه نبات التين ، أو كقطرة من الماء بالنسبة لمجموع البحار

هذا هو مركز الأرض من الضآلة بالنسبة للكون الذى هى جزء منه. على أن هذه الملايين من ملايين النجوم تسبح فى مجراها على مسافات شاسعة جداً بين الواحد والآخر بحيث يعد اقتراب واحد من الآخر حادثاً نادراً جداً

فالمسافة بين الأرض والشمس التى هى مليون مثل ارتفاع الهرم الأكبر صغيرة جداً بنسبة المسافات بين الشموس التى نتحدث عنها. ويكفى أن نعلم أنه بينما يصلنا الضوء من الشمس فى ٧ دقائق تقريباً فإنه يصل لنا من أقرب شمس بعد ذلك (الفاسانتور) (Centauri) ويسمونها «قضيب الكرم» فى أكثر من أربع سنوات .

ولو أن الشمس على بعدها عنا تمثل مصباحاً فى الردهة المجاورة بالمنزل فإن الفاسانتور تمثل مصباحاً فى فينا أو طهران

على أن الغالب على الظن أنه منذ أكثر من ألفى مليون سنة اقترب أحد هـذه النجوم وهو فى طريقه من شمسنا ، وكما أن اقتراب القمر يحدث على بحار الأرض ظاهرة المد والجزر أى ارتفاع المـاء فى جزء من الكرة وانخفاضه فى الجزء المقابل؛ ويبلغ ارتفاع المد قريباً من الشواطئ المصرية ٣٠ سنتيمتراً وفى الجزائر ٦٠ س م وفى فرنسا متراً أو اثنين وفى فندى فى أمريكا ١٩ متراً و ٦٠ سنتيمتراً فقد حدث فى جسم الشمس مد كبير جداً يبلغ حجمه آلاف أمثال حجم الأرض كافة؛ وازداد اقتراب النجم فارتفع المد لدرجة سببت انفصال كتلة من جسم الشمس انقسمت إلى الأجزاء التسعة التى هى السيارات المعروفة وأقمارها وهى التى تدور من ذلك الحين حول أمها الشمس

ولو شخص القارئ ببصره إلى السماء فى الليل لاستطاع أن يلحظ الفارق الكبير بين السيارات التسعة التى تكون مع الشمس مجموعتنا الشمسية وبين الشموس الأخرى ، فإن ضوء السيارات كضوء القمر يبدو ثابتاً لاكتساب هـذا الضوء من الشمس . أما النجوم فهى تتوهج كالشمس، وأثر هذا التوهج واضح على العين



(شكل ٢)

أما السيارات التسعة فمنها ما هو أصغر من الأرض مثل عطارد والزهرة والمريخ وبليتون ، ومنها ما هو أكبر منها مثل المشترى وزحل وإرانوس ونبتون. وحجم الشمس يقرب من مليون وثلث مليون (١٫٣٠١٫٢٠٠) حجم الأرض بينما حجم عطارد ٥/١٠٠ من الأرض والزهرة ٩/١٠ والمريخ ١٦/١٠٠ والمشترى ١٢٩٥ وزحل (وهو سيار يمتاز بطوق حوله) ٧٤٥ مرة وإرانوس ٦٣ ونبتون ٧٨ ؛ أما بليتون فنظن أن حجمه ١/١٠ من حجم الأرض ولم يكتشف إلا منذ نحو سبع سنوات

ولكل سيار عدد من الأقمار تابع له يدور حوله، وليس لعطارد والزهرة أقمار . وقد أشرنا فى الشكل إلى مواضع الأقمار بعلامة ×

وللأرض قمر واحد وللمريخ قمران ، وكنا نعرف للمشترى تسعة أقمار، وقد كشف المنظار الجديد لمرصد مونت ولسون بأمريكا قمرين جديدين فأصبح عـددها ١١ ، والمعروف لزحل حتى الآن تسعة أقمار ولإرانوس أربعة ولنبتون قمر واحد

أما بليتون فلم يشاهد له حتى الآن أقمار .

وفى الشكل الأول تمثل الدائرة الكبرى الشمس وفيها دوائر صغيرة تمثل حجوم السيارات التسعة بالنسبة للشمس وترى مرتبة



الفن الأمريكى

النحت والتصوير

للدكتور أحمد موسى

أما النحت فلا يرجع لأكثر من القرن الثامن عشر . على أن ما هو جدير بالفحص والدرس منه لا يعود إلا إلى منتصف القرن التاسع عشر ؛ لأن ما تم عمله منذ تلك الفترة يمكن اعتباره مقياساً صادقاً لمدى ما وصل إليه النحت الأمريكى

وأول من يمكن ذكره من رجال الفن فى « الدنيا الجديدة » رجلان هما پاورز H. Powers وجرينوف Greenouph اللذان نالا فى بلدهما درجة من التقدير . وقد سافرا مبكرين إلى روما للمشاهدة والمعرفة ، والتقيا هناك بكل من كانوفا Canova وثوروالدسين Thorwaldsen المعاصرين لهما واللذين كانا من رجال النحت المعروفين . فشاهدا فى روما واقتبسا الكثير مما فيها

ومن رجال الفن الذين لم يتلقوا على مدرس أو أستاذ ومع هذا أنتجوا إنتاجاً يستحق الاعتبار كراوفورد وأراسموس يالمر

وكان المسلك الذى سار عليه پاورز متأثراً بفن « عصر النهضة » الإيطالى والفرنسى ، ولكنه مع هذا انتمى إلى مذهب الفن الواقعى الذى تجلى فى منحوتاته للأشخاص بطريقة قوية دلت على المقدرة والثقة بالنفس ، فجمع بين الأناقة فى الإخراج ، وبين القوة التى تمكن بها من إبراز الشخصية

وبالرغم من أن الإتجاه السياسى فى أمريكا كان أميل إلى إظهار الروح الوطنية عند بعض الأفراد ؛ فإن فن النحت كانتاج عام لم يخف أثر الاقتباس الأوربى الذى إليه يرجع الأصل فى خلقه ولا يمكن أن نسجل هنا مع الإعجاب خلقاً فنياً فى مجال النحت إلا لتماثيل محدثين نسبيا إلى من ذكرناهم . وأول هؤلاء جودنز Saint Gaudens الذى نأتى له هنا بصورة من إحدى تماثيله الرائعة (ش . ١) . ألا وهو التمثال البرونزى لتسجيل شخصية لينكولن ، فترى الرجولة والقوة والاحترام متمثلة كلها فى التمثال أنظر إليه وتأمل الكيفية التى وقف بها لينكولن ، وبساطة

فى داخلها بترتيب بعدها عن الشمس فأبعدها هو سيار بليتون إذ هو يتم دورانه حول الشمس فى ٢٥٢ سنة

هذه هى المجموعة التى تنتمى إليها الأرض التى تحملنا

وما شمسنا كما قدمنا إلا إحدى ملايين الشموس من نهر المجرة الذى هو عالم واحد من ملايين الملايين العوالم التى تكون الكون . ويمثل الشكل الثانى أحد هذه العوالم ، وفى هذه الصورة ترى صورة ضوئية لأحد هذه العوالم وهو عالم تبدو مجموع شموسه للناظر فى شكل الحلزون ، ويغلب على الظن أن هذا الشكل الحلزونى لا يوجد فى واقع الأمر على هذا النحو ، وإنما هى ظاهرة خاصة بالعوالم البعيدة . فلو افترضنا أن فى ذلك العالم البعيد كائناً ينظر إلى عالم المجرة (عالمنا) لرأى جماع شموسه فى هذه الصورة الحلزونية.

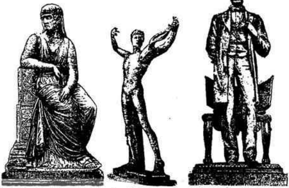
وسنتكلم فى المقال الآتى عن الفكرة فى منشأ الحياة على أحد هذه الكويكبات وهى الأرض وعلى احتمال نشوئها كذلك على غيرها من السيارات ، ونحاول على قدر الاستطاعة أن نفسر الحياة ونرى هل هى ظاهرة كغيرها من الظواهر الطبيعية مثل الإشعاع المادى والمغناطيسية أم هى أمر آخر

وقد وجدنا من الأيسر قبل أن نطرق باب الحياة ولا سيما فيما يتعلق بالإنسان أن نبدأ اليوم بوصف البيت الذى يعيش فيه قبل أن نصف صاحب الدار . وموعدنا المقال القادم

محمد محمود غالى

دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون

المظهر الذى ارتسم على ملابسه ، ثم شاهد الوضع الأنيق للذراع اليسرى والكيفية التى بها أمسكت اليد المعطف . هذا إلى جانب جمال التكوين للرأس والنظرة الثاقبة التى تجلت على العينين .



ش — ١ (لينكولن) ش — ٢ (سفوكليس) ش — ٣ (أورشليم الحزينة)

ولا أبدع من تلك الوقفة حيث ترى القدم اليسرى تخطو إلى الأمام؛ أما المقعد خلف التمثال فهذا وإن خرج عما نألفه الآن ، إلا أنه طابع مميز ومسجل للاقتباس كما ذكرنا .

وثانى نحات جدير بالذكر هو نيهاوس Ch. H. Niehaus ، وثالثهم ماكنايل H. A. Mac Neil الذى نحت ما يعبر به عن عادات الهنود الحمر من « رقص الأفاعى » و « تمجيد الشمس »

وغير هؤلاء هربرت أدمز Herbert Adams الذى وضع تصميم البناء التذكارى فى أوبرن ، ودانيل شيستر فرنش صاحب تمثال ميلمور وتمثال المهندس المعمارى هنت فى نيويورك ، وله أساليب خلابة فى الكيفية التى أخرج بها منحوتاته التى نذكر منها تماثيل واردوبارترج والجنرال جرانت فى بروكلين

ولا بد من أن نذكر على الخصوص النحات بويل J. Boyle ودونج الذى يعطينا التمثال (ش — ٢) فكرة عنه . أنظر إلى سفوكليس[١] ، وقد بدا نحيلاً كما كان ينبغى لمن وصف نفسه بالجمال والشباب ، وتأمل امتداد الذراعين وجمال حركة اليدين إلى جانب الرأس

ومن بين النحاتين الأمريكيين من أظهر فى صدق وقوة مقدار تأثره بفن أجنبى . وخير مثل لذلك الفنان ستورى الذى عمل تمثال « أورشليم الحزينة » ، وإذا نظرت إليه (ش — ٣) رأيت أن التكوين الكلى للجسم والطريقة التى جلست بها « أورشليم » والتفاصيل التى تبين ثنايا الملبس كلها إيطالية . أما الوجه وما ارتسم عليه من كآبة فقد عبّر خير تعبير عن الحزن واليأس والاستسلام وهو ما يتمشى مع المقصود من وضع التمثال . وكان كل من روجز وبيبيسو L. Bibisso يسير فى نفس الاتجاه متأثراً بالفن الإيطالى

أما من تأثر بالفن الألمانى فكان كل من رابنهارت وإزيكيل M. Ezekiel وكايزر ، هذا عدا الفنانين الألمانيين أصلاً والذين اتخذوا أمريكا وطناً ثانياً لهم ، أمثال كارل بيتر Bitter وإيزيدور كونتى ويوهان جيلبرت

سار كل هؤلاء فى طريقهم تحت لواء الفن الواقعى المنتمى قليلاً حيناً وكثيراً حيناً آخر إلى فن « عصر النهضة » الإيطالية والفرنسية



ش — ٤ (موت الجنرال وولف)

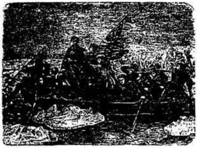
وقد ظهر بعدئذ فن جديد فى الأفق الأمريكى لا يخالف فى مظهره العام « الفن الحديث » من حيث الرغبة فى التبسيط والابتعاد تدريجياً عن الضوابط والمقاييس الفنية

وهذا لا يستغرب إذا تذكرنا أن العلاقة بين العمارة والنحت والتصوير موجودة دائماً ، وأن البيئة التى يتأثر بها البناء هى نفسها التى تؤثر فى النحت وفى التصوير

---

(١) Sophokles ابن سوفيللوس المثرى ، (٤٩٦ — ٤٠٦ ق . م) وكان من أعظم شعراء اليونان الثلاثة . وفى روما بمتحف لايتران يوجد تمثال رخامى يمثل الشاعر ، وقد عثر عليه فى تيراسينا سنة ١٨٣٨ ، وهو دون شك من أجل تماثيل اليونان وأعظمها قيمة وتكوينا

على أننا لا نريد أن نتناول اتجاهات « الفن الحديث » أو الفن المعاصر فى أمريكا بالدرس والنقد لأننا قد وعدنا القارئ بمقال خاص عنه نكتبه فى فرصة أخرى



ش — ٥ (واشنجطون يعبر نهر دلاوار)

أما فى التصوير فإن الأثر الأوربي ظاهر أيضاً وواضح إلى حد لا يحتاج للبراهين ، فقد ارتبط فن التصوير فى أول أمره ارتباطاً وثيقاً بالفن الانجليزى ، وتقدم على هذا الأساس تقدماً باهراً ، فما كاد ينتهى القرن الثامن عشر إلا وقد ظهر مصوران عظيمان ، أولهما وست B. West الذى سجل موت الجنرال وولف فى موقعة كويبك تسجيلاً رائعاً . أنظر إلى المجموع الإنشائى للصورة (ش — ٤) وفكر فى الكيفية التى استطاع بها الفنان إظهار هذه المجموعة من الوجوه الناظرة إلى الجنرال المحتضر ، وكلها تعبر عن الأسى والحزن والجزع ، ولاحظ العدد الهائل من الجنود الذى يبدو كأنه ظل فى مؤخر الصورة ، وتأمل إلى جانب ذلك حركة الأيدى والروعة التى تجلت فى الإخراج

وثانيهما جون كوبلى Gohn Singleton Copley الذى اشتغل كالأول أيضاً بتسجيل المناظر التاريخية والوطنية وغيرهما جلبرت ستوارت ولورينج إليوت الذى اشتهر بتصوير المناظر الشخصية !

وهكذا استمر أثر المدرسة الانجليزية فى فن التصوير الأمريكى حتى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وبعدئذ ظهر اتجاه جديد بظهور الفنان لويتس E. Leutz الذى أظهر أثر مدرسة دوزلدورف الألمانية Duessel-dorfer Schule فترى فى الصورة (ش — ٥) واشنجطون واقفاً فى وسط قارب صغير ازدحم برجاله ، منهم من حمل العلم الأمريكى ومنهم من اشتغل بالتجديف فى ماء مملوء بالثلوج . وليس هذا المنظر مما يستهان بتصويره ، فهو محتاج إلى مقدرة عظيمة ودراسة عميقة لقانون الحركة الجسمانية إلى جانب صعوبة التلون لإبراز تفاصيل الثلج والماء المتجمد

وأعقبه الفنان بيرستادت A. Bierstadt الذى اشتغل بتصوير المناظر الطبيعية التى وقعت تحت نظره . وظهر أثر المدرسة الفرنسية فى أمريكا بعد انقضاء الستين أو السبعين سنة الأولى من القرن التاسع عشر ، ذلك بالرغم من تأسيس جمعية الفنانين الأمريكيين Society American Artists فى أول يونيو سنة ١٨٧٧ وإنشاء أكاديميات على نمط ما هو موجود فى أوربا . وهذا يدل على أن الفن الأمريكى كان أوربياً فى الأصل ولم يجد منهلاً صافياً يستقى منه إلا فيها

واشتغل فريق من رجال الفن بتصوير الحيوان وعلى رأسهم بيرد Beard وبيتر موران Peter Moran وبور Poor ، كما اشتغل فريق آخر بتصوير المناظر الطبيعية وحدها ، وأهم هؤلاء توماس وبيتر موران الذى صور لوحته الرائعة « مزاج الغروب » (ش٦) والتى أظهر فيها انعكاس أشعة الشمس الذهبية على صفحة الماء . وغيرهم من هو جدير بالذكر مثل جيفورد R. S. Gifford وميللر Ch. Miller وهارت Games M Hart وجاى W. M. Gay عدا من كانوا فى الدرجة الثانية مما لا يتسع المجال لذكرهم



ش — ٦ (مزاج الغروب)

وكان الفنان شاز W. Chase من الذين أجادوا تصوير الأشخاص وتسجيل المناظر الشعبية ، وكنا نود أن نأتى بأكثر من صورة لإنتاجه . ولعلنا بالنظر إلى (ش — ٧) نتمكن من

الوقوف على جانب من مقدرته ، فقد صور الشيطان يفرغ الخمر فى كأس وعلى شفتيه ابتسامة السخرية .



ش ــ ٧ (الشيطان)

وتخصص هنرى باكون للمناظر التاريخية كما تفرغ هومر (Winslow Homre) للمناظر الشعبية البحتة التى اتصل بها واندمج فيها وذلك فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل هذا القرن .

وظهر جماعة من الذين انتقلوا بخيالهم المحلى إلى خيال أوسع مدى ، فمنهم من نقل صور الحياة كما هى دون تعريج على المثل العليا ، ومنهم من رسم مناظر رآها فى بلاد انطبعت صورتها فى مخيلته ، ومنهم فريق أكثر من



ش ــ ٨ (باب الحريم)

الأسفار ، وسجل كل ما شاهدته عيناه .

ولعلنا نرى فى (ش٨) التى صورها بردجمان F. A. Bridgman خير دليل على انتقال الخيال ، لا إلى « الدنيا القديمة » بل إلى الشرق !

سمى هـذه الصورة « على باب الحريم » فصور مدخلاً تعلوه « مشربية » لبيت على الطراز العربى واهتم بإبراز الزخرفة والنقش كما حرص على تصوير امرأتين إلى يسار الباب ، وقد جلست كل منهما تعرض ما تريد بيعه ، وأمام المدخل سيدتان جاءت إحداهما على ما يظهر فى الصورة راكبة حماراً وقف بالقرب منهما وبجانبه صاحبه . والمجموع الإنشائى رائع لا يستطيع تصويره إلا المتمكن .

وترى على اليسار شجرة اللبخ الكبيرة وقد وقعت ظلالها على حائط البيت ، وجلس إلى اليسار بعض الصبية أمام شباك الكتاب » .

هذا ولا يفوتنا أن نذكر مورلى وبيرس وويكس ممن ينتمون إلى المدرسة الباريسية فى أوائل القرن العشرين .

أما بعد الحرب العظمى فقد سرت موجة جديدة غيرت معالم الفن القديم ، سيكون الحديث عنها ضمن مقالنا الخاص بالفن الحديث .

احمد موسى

الأستاذ محمد عبد الوهاب

من الوجهة الفنية

لم يخدم (الحظ) فى دنيا الموسيقيين أحداً كما خدم عبدالوهاب، ولم يتطوع الزمن فى ركاب مطرب كما تطوع فى ركابه حتى أبدله نعمى ببؤس، ويسراً بعسر ... !

هو من صدور (الملحنين) فى الشرق، ولكنه سيد المطربين فيه. بز القدماء بقديمه، وعز على قرنائه بجديده وتجديده. سما بالموسيقا سمواً كبيراً حتى جعل منها شيئاً محترماً، وارتفع بمنزلة (المطرب) ارتفاعاً عظيماً حتى أصبح العظماء يتوددون إليه بعد أن كانوا يحسبونه مهرجاً لا أكثر ... ! !

صوت رخيم جميل، ولعله أسلم أصوات مطربينا وأقدرهم على التطريب الحق الذى يأسر النفس، ويملك الحس. لا نستطيع أن نقول عنه إنه غنى (بتريولانه) ولكننا نستطيع أن نقول إنه غنى بالطاعة لصاحبه، والخضوع لكل أوامره ونواهيه

يبلغ أربعة عشر مقاماً (أوكتافين)، خمس مقامات (تينور) ثقيل، وتسعة مقامات (بريتون) تقريباً كلها سليمة قوية واضحة لامعة

لا يرتجل، ومع كل ذلك فهو (يشتغل)! ويشتغل شغلاً عجيباً يدر عليه الآلاف المؤلفة. والسر فى هذا أنه لا يؤمن بالتصرف ولا بالارتجال، ولا يغنى إلا بعد أن يكون قد لحن الكلام وجربه أكثر من عشرين مرة مع رجال تخته. فإذا طلبت منه (مقطوعة) له قديمة غناها كما سجلها دون تصرف أو خروج كالأسطوانات تماماً ... !

يحب فنه أكثر مما يحب نفسه؛ ولذلك لا تعجب حينما تعرف أنه لا يرى بأساً من مواصلة ليله بنهاره ونهاره بليله ملحناً وعازفاً دون أن يراعى صحته الضعيفة! درس (الصولفيج) دراسة طويلة، وهذا ما أفاد صوته كثيراً، ولكنه مع هذا لم يستطع أن يسجل لنفسه لحناً واحداً (بالنوتة) بل يستعين فى ذلك بالأستاذين جميل عويس، وعزيز صادق

هو أول من أدخل على التخت العربى آلات الكونترباس ... الفيولانسيل .. الأكورديون الكاستنيت .. المثلث النحاسى .. النقرزان ...

له مدرسة واسعة تضم أغلب الشرق مطبوعة بطابعه، ملونة بلونه، لا تحب إلا إياه ولا تستسيغ إنتاجاً إلا إنتاجه وكفاه فخراً أنه (متبوع) أبداً فلا يكاد يخرج شيئاً جديداً حتى ترى بعض الملحنين الذين يتعقبونه ويترسمون خطاه قد حاكوه وقلدوه. فالموسيقا العربية لم تكن تعرف أو لم تكن تعترف بالرومبا، والتانجو، والكاريوكا. فلم يكد يمصرها ويخضعها للذوق الشرقى حتى تهافت عليها غيره كالذباب عدداً وهم يحسبون أنهم ملحنون مجددون كعبد الوهاب



تدين له الموسيقا بالشيء الكثير؛ فهو وإن كان لم يخلق كبتهوفن، وموتسارت، وفجنر، وهندل، ودى لاسو (مثلاً) إلا أنه جدد، وجمع من هنا وهناك بذوق سام حتى خلع على الموسيقا إهاباً قشيباً متيناً!

أصبح الآن (مقلا) لدرجة تبعث على النقد؛ وهو يحتج بتفرغه للسينما ولكننا لا نعفيه من اللوم، فالمال لا يدوم، وإن دام فالسمعة وحب الشعب والمجد والشهرة، كل هذه الأشياء لا يغذيها إلا العمل، والعمل المتواصل الذى يمدها بالحياة.

* * *

سن للمطربين سنة (الطراوة والاسترخاء، والدموع) فقلما يغنى شيئاً حماسيا أو وصفيا، بل أغلب أغانيه غزلية فحسب



من مآسي التاريخ

مصرع الدون كارلوس

للأديب محمد محمد مصطفى

قال الأستاذ محمد عبد الله عنان في كتابه « تاريخ المؤامرات السياسية »

« . . . ما أفاضت سيرة من سير القصور في القرن السادس عشر على دولة الخيال والشعر قدر ما أفاضت سيرة الدون كارلوس ، وما تبعث قصة إلى النفس من روعة وكآبة قدر ما تبعث أساطير هذه القصة العجيبة

وأي سيرة أدعى للروعة والوحشة من سيرة ملك يقضي بالموت على ولده لمؤامرة قيل إنه دبرها لقتله ، ثم يذهب في بطشه إلى حد تنفيذ هذا الحكم

هذا ما يحفظ التاريخ من سيرة فيليب الثاني ملك أسبانيا وولده الدون كارلوس »

فوجئ الأمير بتحية صدرت إليه من خلفه ، فاتجه ببصره إلى مصدر الصوت فرأى صديقه الأمين الكونت « أجمونت » ... فقل اضطرابه قليلاً وسأل الكونت :

— أتبعك جواسيس الملك الليلة يا كونت ؟

فابتسم هذا في خبث وأجاب :

— أبداً يا مولاي ، فقد ألحت صورة الخمر على أعينهم فرنق بها السكرى فدلفت إلى جناحك من الباب الخلفي بعد أن تخطيت الأهوال في اجتياز الحدود سراً ...

— أبخير أتيت ؟

فأجاب والابتسامة لا تفارق شفتيه :

— بكل خير

ثم أخرج الكونت من ثنايا ثوبه ورقة نشرها أمام ولي العهد ، وجعل يمر عليها بأصبعه هامساً للأمير :

— بين شعاف هذه الجبال يا مولاي ستكمن قواتي ، فإذا ما جن الليل انضمت إليها قوات أمير أورانج تتبعها قوات الكونت هورن[1] . وعلى سموك اجتياز الحدود سراً مساء منتصف مايو القادم لتعودوا على رأس هذه الجيوش إلى أسبانيا لتثل بها عرش هذا الشيخ الذي لم يتورع الليلة عن الزواج بطفلة في سن حفيدته

* * *

وحمل الدون كارلوس آماله وأحلامه ، ومضى بها إلى حديقة القصر الملكي يرسل بين الحين والحين صفيراً خافتاً حتى عثر بين الخمائل على دوحة استذرى بها حتى لا يناله برد الليل إن غلبه النوم تحتها

* * *

وتسربت خيوط الفجر من ثوب الليل ، ولما يغمض لعروس الملك جفن ، وتشمر الفتاة لرؤية عريسها الشيخ الذي يغط إلى جانبها بهم يجثم على روحها ، فتتسلل مارقة إلى حديقة القصر الملكي ، وتسير بين رياضه على غير هدى ...

سارت بين الخمائل تناجي النجوم وقلبها النفض يخفق في عالم مجهول . ثم أفلتت منها صرخة خافتة إذ رأت أمامها شاباً كأنما قد تثاءبت عنه الأرض

(١) أمراء الأراضي السفلى (هولاندة والبلجيك) وكانت وقتئذ تابعة لأسبانيا

فإذا سألته السبب قال : إن الشعب لا يحب ولا يشجع إلا هذا اللون ، وما درى أنه وحده الذي يقع عليه أغلب هذا الوزر . المعروف أن المغني الحق هو الذي لا يعرف إلا فنه ، وفنه فقط ولكن عبد الوهاب أراد أن يخالف هذه النظرية فعرف الفن وغير الفن ، وتأثر بميول ضد ميول وقد عرف عنه ذلك ومع كل فهو يصر على لونه ...

إن الفن موطنه السماء؛ ومن في السماء فوق الجميع وللجميع. فمن ترك فنه وسماءه ليعيش فوق الأرض جرفه التيار الذي لا يرحم

محمد السيد المويلحي

— ترى بعثت روعة هذا الفجر فى نفسك الاكتئاب أيها الشاب؟

— وى ... من أنت ... ومن أى فردوس فررت يا فتاة؟

فيشرق الابتسام على ثغر الفتاة وتقول للشاب الماثل أمامها فى سذاجة الطفولة ومرحها :

— الملكة ... ومن أنت ؟

فيقف الدون كارلوس فى تؤدة ويشخص ببصره إلى الصبية يعبث الهواء بشفوف نومها فيبرز نهداها الصغيران، ويظهر تقاسيم جسمها الفتان ، ويتمتم الشاب فى خفوت :

— عروس أبى ... أقصد الملك ... وإلى أن ؟

— إلى الفجر وسحره

ويأسى الأمير لهذا الجمال الذى سيذوى فى ظل والده الشيخ ويدرك من حديثها نقاء سريرتها فيدرج بها على العشب النضير هوناً .. يتسامران فتجرده من قلبه ولبه، ويأخذها بشبابه وحبه، ويبدو لها وجه الشيخ بلحيته المرسلة كأنه شيطان مريد ، وتنظر إلى ولى عهده فتدخل من عينيه الجميلتين إلى جنة الحب ، ويخفق له قلبها الغض المتعطش إلى الغرام ...

وفى غفلة من الدهر كانا يختلسان اللقاء على الربى وبين الخمائل، فهى لا تعرف السعادة إلا فى حضنه الفتى الحبيب ، وهو قد تدله بها فلا يعدل بقبلاتها المسكرة ما فى بطون الأرض وعلى سطحها من أذخار وكنوز ...

وينظر الملك إلى طول لبثها فى الحديقة فيرتاب ويحوطها بعيونه فتنتقل إليه الأخبار ...

وعلى إحدى الربى وقف الملك مستتراً يرى العاشقين الصغيرين وكيف ينهلان السعادة ويستمع إلى وسوسة قبلاتهما الناعمة فيحرق الأرم ويستجمع ما تبخر من صبره ويولى عنهما هامساً بينه وبين نفسه :

— ليكن هذا بينهما لقاء الوداع

ويتأوه من أعماق نفسه ويهتف :

— أما وقد بليت أيضاً بحبها فستعيش هذه الفتاة لأن قلبى يريد لها الحياة ... أما هذا الوغد ... وهدد بقبضته فى الهواء ومضى لسبيله فى طريق القصر

* * *

وراح ولى العهد يستعرض أصدقاءه ليختار من بينهم من يمده بخيل يرحل عليها خفية إلى الحدود، فيقع اختياره على مدير البريد...

ويشفق مدير البريد أن ينكشف أمره فتناله يد الملك، فينقل إليه رغبة الأمير ...

ويأمر الملك بالقبض على ولده وإيداعه السجن، فتضبط أسلحته ونقوده وأوراقه التى دلت على مشروع محاولة استيلائه على الأراضى السفلى ودحر الملك ثم الجلوس على عرش أسبانيا. فأبلغ الملك الحادث إلى الجهات الكبرى وانتدب محكمة عليا برياسته لمحاكمة ولده

* * *

كان سجن الأمير غراماً على نفس الملكة فطوت جوانحها على حرق حبه ، وأضحت ذاهلة وانية ترى القصر كأنه قطعة من الجحيم ، وعزفت عن الطعام حتى رق جلدها وشحب لونها

ولقد تتحامل على نفسها التطوف بمجالس غرامها وأعشاش حبها تدب فى رفق كأنما قد حطمت قواها السنون ، فإذا جلست فى مكان ضمهما يوماً خيل إليها أنه إلى جانبها يضمها ويحنو عليها فتخشى أن يكون ذلك وهماً فتتحسسه بيديها فلا تقع على شىء فتقف فزعة وتحوم حول نفسها وتسقط صارخة :

— يا كارل ... ...

فتردد جوانب القصر صيحتها :

— يا كارل ...

وكان صفاء عينيها الجميلتين وتدلههما ينمان عما تكابده من حر الحب وبالغ الوجد

وينظر الملك إليها فيراها متلفة آيسة وقد أطفأ الحزن بريق عينيها فينهدم لها قلبه انهداما ويسألها عن سر وجومها واكتئابها فتنفجر باكية وتجثو عند قدميه .

ويعلم الملك أنه الحب فيستضحك حتى تبدو نواجذه ويمسك بيديها الصغيرتين لينهضها فتأبى إلا أن يسمع لشكاتها ...

— خير . أأستنزل لك من السماء نجما تقرين به عينا ياطفلتى الحبيبة ؟

— أتقسم على طاعتى فيما أرجوه منك .

— لك هذا .

— أن تطلق سراح ولدك .

فاربد وجه الملك وعبست أساريره وأشاح عنها قائلاً :

— أشغفك حبا ذلك الولد الغر ؟

— حباً ملك علىّ نفسى

— فلم لا تدفعين هذا الحب عن قلبك وهو لم يزل بعد وليداً ؟

— إنه ولد عاتيا قويا

— فلن أفرج عنه إذاً أبداً . وسأجعل من جسده للطيور طعاماً شهياً ...

ويظلم الفضاء في نظر السكينة وتقول وما تملك نفسها :

— فإذا ما قلت لك إني سأقضي على نفسي وأحملك وزري إن مسسته بسوء؟

ففكر الملك ثم فكر ... وفتقت له أفكاره حيلة

فدنا منها وقد زال أثر العبوس من وجهه قائلاً :

— إنني لم آمر بسجنه يا صغيرتي إلا لدفع بغيه عني ، ولئن أطلقته ختر بميثاقه وأعاد المؤامرة بعد أن قتلتها في مهدها

— سيفيد من درسك هذا له عبرة

— أفتجعلين من ذمتك عهداً ألا يعيد الكرة ؟

فأبكاها فرط السرور لقرب انتصارها ومدت إليه يدها باسمة

— هذا عهد

فرقت لها نفس الشيخ وقال :

— إني أعدك بالحكم ببراءته

فهزتها نشوة الفرح وطوقت عنقه قائلة :

— هل قلت إنك ستبرئه ؟

فطرب الملك لمناق فتاته وأعاد القول باسماً : لك هذا

وفي هدأة الفجر تسللت عروس الليل على أطراف قدميها وقلبها يخفق ويدها عليه ... حتى إذا ما اجتازت الباب السري ركبت عربة كانت تنتظرها خارج القصر وانطلقت بها في مسارب الوادي لتنقلها خفية إلى سجن الحبيب

وما اقتربت المليكة من باب السجن حتى تخلى عنه حراسه ، فطوت سلالم القبو أربعاً أربعاً ...

وألفت حبيبها الموموق مكباً على نضد عتيق وقد سقط رأسه الجميل على صدره تتناوبه فورات اليأس والحمى ؛ فلما رأى المليكة انتعشت نفسه وصاح : إيزا

— كارل

وألقت نفسها بين أحضانه وأهوت بقبلاتها على فمه وشعر الدون كارلوس بأنه في حاجة إلى الحياة عن ذي قبل وأحس أن قوة هرقل قد حلت فيه وأن قوى العالم لن تستطيع إفلاتها من بين يديه ولو تكالبت عليه جميعاً وكان بعضهم لبعض ظهيراً

ولم يخف افترار ثغره عن عين طفلته الحبيبة ما رسمه الأسى على وجهه وما يلاقيه في غياهب سجنه . فانتشرت نفسها عليه رقة ورحمة وأرسلت من عينيها عبرات حرارا ...

قال الدون كارلوس :

— لم البكاء يا إيزا وهو يتلف عينيك ؟

— ومن أحرى مني بطول البكاء ؟

— أنا ... لهول ما أفكر فيك ولفرط ما عاث الحب في قلبي وأماتني حياً لبعدك بيننا يحيا هذا العجوز الخيزبون بين أعطافك ناعماً بجمالك مخفرجاً في ظلك ؟

ففاضت عيناها بالدمع فحبس عبراته وكبت عاطفته ، ولم تشأ أن تخبره بوعد الملك لها ببترئته لعدم ثقتها بتنفيذ هذا الوعد وخشية أن يظن الدون كارلوس أنها خدعته إذا ما حنث الملك بوعده

حتى إذا أشرقت غرة الصبح انتزعت نفسها من بين أحضانه وعادت إلى القصر بتأوه من قلبها المعذب المفؤود

سيق الأمير إلى قاعة المحاكمة وقد بدا على وجهه الساهم علائم العناء. فلما رآه الملك عبس في وجهه وبسر. وأخذت عينا المليكة الجميلتان ترسلان الدمع مدرارا فتنضو عن صدرها الجميل ثوبها لتخفيه فيه

وتقدم الدون كارلوس تنوء قدماه بحمل جسمه الواني حتى انتهى إلى مقعد أعد له فجلس عليه وأخذ يردد الطرف بين الملك حينا وأعضاء المحكمة أحياناً فيرى على وجوههم مسحة الجد والاهتمام .

وقطع الملك رهبة السكون حيث أمر بابتداء المحاكمة فوقف المدعي (البرنس إيغولي) وأتى بياناً مسهباً عن محاولة الدون كارلوس الاعتداء على الذات الملكية بوضعه مشروعاً لاغتيال أبيه ومحاولته انتزاع الأراضي السفلى ، واختتم بيانه بطلب اعدامه

فتحرك الملك في مقعده قليلا وقال بصوت هادىء :

— ألديك ما تقوله يا كارلوس ؟

فنهض الدون كارلوس متثاقلاً وقال بثبات :

إنني لا آنس في وجه أحدكم رأفة ولا رحمة ، وكلكم كشق مقص الفناء، كل يتم للاخر مهمة القضاء عليّ ؛ بيد أنني أود أن أتلقى حكم إعدامي من شفتين غير شفتيك ، فهل لي أن أرجو المحكمة أن تنطق مليكتي بهذا الحكم ؟

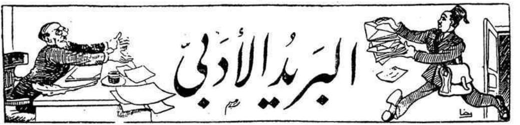
فرد المدعي قائلاً :

— ولكن الملك رأس الدولة ورئيس المحكمة

فهتف الدون كارلوس :

— والمليكة جسم الدولة فهل تعيش رأس بلا جسم ؟ فاشتد غضب الملك وموجدته على ولده وتهامس قليلاً مع الأعضاء ، ثم اعتدل في جلسته ونطق بالحكم

ودوى حكم إعدامه في أذن المليكة كهزيم الرعد فاستهولته وهبت مجلانة إلى الدون كارلوس فاحتضنته وأخذت ترسل من عينيها إلى الملك شرراً كالقصر وهتفت صاخبة :



انتهاء الدورة السادسة لمجمع فؤاد الملكي

عقد مجمع فؤاد الأول للغة العربية في الأسبوع الماضي آخر جلسة من جلساته في هذه الدورة (وعددها ٢٥) وعقد في المساء جلسة أكمل فيها بعض الدراسات التي يضطلع بها

وشهد الجلسة الختامية الأعضاء جميعاً ، عدا أربعة منهم ، هم حسن حسني عبد الوهاب باشا ، وقد اعتذر من عدم حضور الدورة كلها ، والأستاذ أحمد أحمد العوامري بك، والدكتور فيشر بسبب تغيبهما لمرضهما، والأستاذ جب إذ سافر إلى وطنه انجلترا منذ أسبوع

وقد أتم المجمع في دورته السادسة طائفة كبيرة من المصطلحات العلمية قاربت الألف

فأنجز في علوم الأحياء زهاء ٢٥٠ مصطلحاً ، وفي علوم الطبيعة نوع الحرارة زهاء ٢٠٠ مصطلح ، وفي الموسيقا حوالى ٢٥٠ مصطلحاً ، وفي علم الهندسة نحو ٢٠٠ مصطلح

وأرجأ إلى الدورة القادمة قسماً كبيراً من المصطلحات في شتى العلوم وفي الاقتصاد السياسي . وستضم المسائل المؤجلة إلى ماتضعه لجان المجمع في الفترة القائمة بين الدورتين الحاضرة والقادمة

أما المصطلحات العسكرية فكان المجمع قد كتب إلى وزارة « الدفاع الوطني » يطلب إليها أن توافيه بما قامت به في شأن المصطلحات العسكرية التي سبق أن وضعتها اللجنة المختصة ، غير أنه لم يتلق رد الوزارة حتى الآن . وستنتظر اللجان المختصة هذا الرد لتعد بمساعدة الخبير الحربي المختص ما يمكن وضعه منها تمهيداً لعرضها على المجمع في الدورة المقبلة

— ألا أيها العجوز الحانث بوعده ... لن تناله بأذى حتى تمر على جثتي ... فلتأت أنت وحرسك وجندك فإني لكم

وصمت الملك قليلاً ثم قال :

— أنظروا كيف تدافع الملكة عن عشيقها الفاجر ... وأشار إلى جنوده فانتزعوه منها حتى إذا بلغوا به السجن ألقوه فيه في انتظار تنفيذ الحكم

وانصرف أعضاء المحاكمة تاركين الملك والملكة وحدها فجثت إيزا تحت قدميه جثو الراهب في محرابه وأخذت تستعطفه في ذلة وانكسار أن يرد على ولده حياته وأن يقف تنفيذ إعدامه وأعطته موثقاً ألا تلتقي به بعد اليوم إن أجاب سؤلها . . . ولكنها كانت تستدر القطر من الصخر ، وتبذر الحب في المهمه القفر ...

وشدد الملك الرقابة على السجين حتى لا تلقاه الملكة فتدبر لفراره أو تحاول إنقاذه. فتبدلت في عينها الدنيا وضاق أمام نظرها فضاء الأرض التي لم تتسع على رحبها لحبيبين فعزفت عن الطعام وتساقطت نفسها حسرات عليه

وأومأ الملك إلى طبيب القصر أن ينفذ بنفسه الحكم على أن يبقى شرف الأمير مصوناً...

وانخلع قلب الملكة لسماعها نبأ إعدامه بجرعة سم دسها إليه الطبيب، فعصفت برأسها نوبة جنون جرت على أثرها حافية القدمين إلى السجن . . . ومنعها حارس الباب فبكت إليه وتوسلت ... فقال الحارس إن أوامر الملك مشددة ... فهوت بشفتيها الرقيقتين الناعمتين على قدمي الحارس الوحلتين ... فتركها تمر ... وقال: ليفعل بي الملك ما يشاء

ووجدت جثة الحبيب مسجاة على فراش خشن فأخذت رأسه الجميل بين يديها وشخصت ببصرها إليه فكان في غفوته الأبدية كطائر الأفنان ؛ وسكنت حتى لقد خيل لمن رآها أن روحها قد تسللت من جسدها تاركة وجهها على هذه الصورة الجامدة

واختلط عقل الفتاة المسكينة فكانت لا ترى إلا في الطريق لقبره ذاهبة أو عائدة ، وأرقت فلم تعد تنام إلا لماما ...

وهاجها الوجد إليه فجر ذات يوم فقامت إلى قبره بفأس تريد اقتحامه وأخذت تحطم رخامه وتكشف عنه التراب حتى إذا انفتحت لها فيه فجوة أدخلت فيها يديها ورأسها وأخذت تعالج غطاء ناووسه حتى رفعته فانهال عليها حجر كبير فسقط رأسها الجميل على صدر حبيبها ... ولفظت آخر أنفاسها .

محمد محمد مصطفى

ويرى كثير من حضرات الأعضاء ضرورة الإشراف على وضع المصطلحات العسكرية فى صيغ عربية صحيحة ، استكمالاً لمظاهر الاستقلال القومى ، وحرصاً على استخدام لغة الدولة

المصطلحات الطبية

كان من أهم الدراسات التى قام بها المؤتمر الطبى العربى ، موضوع المصطلحات الطبية فى اللغة العربية . وقد رأس الجلسة التى دارفيها بحث هذه المسألة حضرة صاحب العزة محمد العشماوى بك وكيل وزارة المعارف . وقام بأعمال سكرتيرتها صاحب العزة الدكتور عبدالواحد الوكيل بك

وقد أدلى الدكتور الوكيل بك ببيان عن الجهود التى قامت بها الجمعية الطبية المصرية فى هذا الشأن ، إلى أن انتهت بالقرار الذى اتخذه مؤتمر بغداد وهو أن تتصل الحكومة المصرية بجميع البلاد العربية لتأليف لجان لبحث المصطلحات والقواميس والمجموعات اللغوية الطبية الموجودة فى كل منها ، على أن تؤلف لجنة عليا ، وتجتمع فى مصر شهراً أو أكثر من كل سنة لاختيار أوفق تلك المصطلحات ، بحيث تكون قراراتها ملزمة للجامعات والكليات والمؤلفين والأساتذة فى التدريس

وقد ذكر سعادة الدكتور على ابراهيم باشا فى هذا المقام قراراً أصدره مجلس كلية الطب فى جلسة عقدت قبيل العيد يتضمن إدخال اللغة العربية بالفعل لتدريس بعض الفروع على أن تكون الإجابة باللغة العربية إجبارية عن الأسئلة التى تلقى فى الامتحانات فى موضوعات الطب الشرعى والقوانين واللوائح الصحية المصرية . كما قرر المجلس تكليف الأساتذة المصريين بكلية الطب تلقين الطلاب التقارير الطبية باللغة العربية فى أثناء تدريسهم العلوم التى تقدم ذكرها باللغة الأجنبية

وأشار سعادة الرئيس فى هذه الجلسة إلى جهد وزارة المعارف فى صدد تعزيز صلات الثقافة والعلم بين مصر والبلدان الشرقية ، وأنه قد أنشئت لجنة لهذا الموضوع مضت فى طريقها شوطاً بعيداً

وقد قرر المؤتمر فى هذا الموضوع التوصية بإبلاغ قرارات لجنة المصطلحات إلى مجمع « فؤاد الأول » للغة العربية حتى لا تتعارض أعماله مع قرارات المؤتمر

مدينة فى مسقط لا يعرف العالم عنها شيئاً

وصلت البعثة الجيولوجية التابعة لشركة النفط العراقية إلى البصرة وبدأت أعمالها فى الأراضى الواقعة فى جبل سنام ويقوم مدير البعثة بتعيين المواقع المراد حفر الآبار فيها

وقد صرح المدير أنه قبل وصوله البصرة ، قام بجولة جوية فى سلطنة مسقط ، اكتشف فى أثنائها مدينة آهلة بالسكان ولا يعرف أهل هذه المدينة شيئاً عن العالم كما لا يعرف العالم عنهم شيئاً . وقد ظهر للبعثة التى ارتادت تلك المنطقة للبحث عن النفط أن جبل الأخضر المعروف فى مسقط لم يكن سوى كثبان رملية كانت السبب الأول فى جهل هذه المدينة واعتقاد الناس بأنه جبل حقيقى تنتهى عنده أطراف تلك البلاد من سلطنة مسقط

معرض المثالين الفرنسيين المعاصرين والمثال مختار

دعت جمعية محبى الفنون الجميلة بعد ظهر الجمعة الماضى رجال الصحافة والفن إلى زيارة معرض المثالين الفرنسيين المعاصرين والمثال مختار بعد أن انتهت من تنسيقه وأعدته للافتتاح . فلما اكتمل عقدهم فى الساعة الرابعة والنصف ألقى عليهم المسيو جورج جراب أمين متحف رودان فى باريس كلمة استهلها بالإشادة بذكر مصر مهد الحضارة والفنون ولا سيما فن النحت ، ثم تكلم عن الفنانين الفرنسيين أصحاب التحف المعروضة

وقد اشتمل هذا المعرض على حوالى ١٤٠ قطعة تعد من آيات النحت فى العالم منها ٢٨ تحفة للمثال العظيم رودان (١٨٤٠ — ١٩١٧) الذى يعد بحق فى مصاف فيدياس نحات اليونان العظيم وميكائيل انجلو الفنان الإيطالى الشهير فى عصر النهضة بأوربا

أما بقية القطع فهى لتلاميذ رودان مثل بورديل ودسبيو ومايول وبومبون وديجا الذين يؤلفون مدرسة النحت الحديثة فى فرنسا وهى المدرسة التى بلغت أوج العظمة فى هذا الفن

وتدل مجموعة تحف رودان على ما امتاز به من مقدرة فائقة على تصوير الحياة فى تماثيله ، فتسجل للخلود الخواطر المضطربة من عقائد دينية أو حب الوطن أو الحنان الأموى أو لهيب الغرام أو الحقد الدفين أو التفكير العميق وغير ذلك من مظاهر الحياة

وقد نسج تلاميذه على منواله حتى كاد بورديل يضارعه فى المقدرة ، كما امتاز بومبون بتماثيله عن الحيوان فأودعها من الفن والبراعة كل ما يمكن أن يمثل فى الطين والشمع من حياة

وقد رأى المسيو جراب منظم المعرض أن يعبر عن شعوره

نحو صديقه مثال مصر الكبير المرحوم مختار فخصص جانباً من المعرض لتحف مختار فعرض منها ٣٤ قطعة كانت دليلاً ساطعاً على أن صانعها أول من وفق من النحاتين المصريين المعاصرين للبروز في هذا الفن فكان خير خليفة لأسلافه النحاتين المصريين الذين سموا بفن النحت في عهد الفراعنة إلى ذروة النبوغ

وقد وفق المسيو جراب في عرض تحف مختار مع تحف الأساتذة الفرنسيين الذين أحاطوه بحبهم وتقديرهم

وأعد للمعرض دليل واف باللغتين العربية والفرنسية اشتمل على نبذة تاريخية عن تطور فن النحت وبلوغه حد الكمال في هذا العصر في فرنسا، ويلي ذلك وصف مختصر لكل قطعة من المعروضات

تاريخ كلمة أدب

كتب الدكتور عبد الوهاب عزام بالعدد ٢٩١ من الرسالة بحثاً قيماً في (تاريخ كلمة أدب) تتبع فيه مراحل استعمال هذه الكلمة إلى عصرنا هذا، في دقة العالم الباحث وإمتاع الكاتب الأديب. بيد أنه قال في افتتاح البحث: «لا نجد (كلمة أدب) فيما بين أيدينا من الكلام المأثور عن الجاهليين» الخ...

ولما كنت قد رأيت هذه الكلمة في كلام جاهلي فقد رجعت إلى مظانها، فرأيت أبا علي القالي في الجزء الثاني من الأمالي (ص ١٠٤) يورد قصة زواج أبي سفيان بن حرب من هند بنت عتبة. وصف عتبةُ لابنته هند أبا سفيان فجاء في وصفه: «يؤدب أهله ولا يؤدبونه» وجاء في رد هند: «وإني لآخذه بأدب البعل مع لزوم قبتي وقلة تلفتي»

وقد أشار إلى ذلك الأستاذ محمد هاشم عطية في مطلع كتابه «الأدب العربي وتاريخه» في نفس الموضوع وبعنوان (تاريخ كلمة أدب). وللدكتور عزام تحيتي وإجلالي (ع. ع. خ)

غريب

قرأت في عدد ٢٨٩ من «الرسالة» مقالاً دبجته براعة الأستاذ عمر الدسوقي وقد أعجبني الشعور النبيل والثورة للكرامة المهانة والدفاع عن القومية المثلومة

وأود أن ألفت نظر الأستاذ إلى الغلطة الكبرى التي وقع فيها. إنه دافع عن نفسه خير دفاع وأبان حقيقة المدنية المصرية إبانة لا ينكرها عليه عاقل، ولكنه حط مقام شعوب لها كرامة تعتز بها وقومية ومدنية حافلة زاهرة، فإنه تبرأ من أن يكون «زنجياً أو هندياً أو نوبياً أو حبشياً» وذلك ظاهر في كلام الأستاذ الفاضل، إذ يقول: «بل إني مصري، تجري في عروقي أنبل الدماء وحسبك أن تعرف أننا من أرقى الشعوب مدنية وحضارة قديماً وحديثاً ولن أقبل من مخلوق مهما تكن سطوته أن يلحقني بهؤلاء الذين ينظر إليهم بعين الازدراء والامتهان ويعدهم دونه في الذكاء والمدنية»

إنني لست في مقام جدال، وفي هذا الموضع لا يمكنني إلا أن أذكر الكاتب الهندي كاراكا وكتابه «إلى الغرب» Igo West فإن هذا الشاب عند ما كان يدافع إنما كان يشمل قضية المهضومين كلهم ولا يفرق بين أسود وأدكن وأسمر وقمحي. كلهم سواء استعبدوا واستذلوا ظلماً وعدواناً. وكان الأحرى بأستاذنا أن يحذو حذوه ويدافع عن «قضية الظلم والاستعمار والاستعباد»

لا شك في أن القوم هناك ينظرون إلينا (الملونين) بعين الازدراء والاحتقار ويعتبروننا أقل ذكاء وعقلية منهم، ولكن العلم الحديث برهن على خطل هذه النظرية التي روجها بعض «العلماء التجار» المغرضين كي يجعلوا لهم حقاً سماوياً منزلاً لاستعباد الشعوب الضعيفة واستعمارها

إن الدافع الذي أملى على الأستاذ كتابة المقال، هو نفسه الذي حفزني لأن أسطر هذه الكلمات التي لا تفي ولكنها تذكرة. إن الحبشي لا يقبل أي إهانة لوطنه، والهندي لن يرضى بطعن في عقليته أو وطنيته. ولا أدري كيف زل قلم الأستاذ هذه الزلة فإن النوبيين مصريو الأصل... وربما رد الأستاذ هذا القول بقوله إنهم سودانيون... وفي هذه الحالة ستزداد دهشتي لأن المعروف لدينا أن مصر والسودان قطر واحد، ولكن السياسة المغرضة جزأته ولعبت فيه ما شاء لها، وأرجو أن يعمل العاملون لرتق هذه الثغرة. والغريب أن كثيراً من فقرات المقال ينافي قوله هذا!

«الخرطوم» (م. ع. ب)

الأندلس الجديدة

لما أخذ الاسبانيون يكتسحون البلاد الأندلسية فلا يدعون في واحدة منها أثراً لما كان فيها للاسلام من سلطان وحضارة — اهتزت البلاد الإسلامية الأخرى واضطرب سكانها فارتفعت



أقلام الناشئين

للأستاذ فليكس فارس

أمامى كتابان نشرهما الشيخ أحمد جمعة الشرباصى، الأول بعنوان « حركة الكشف » صدر منذ سنتين ، والثانى بعنوان « محاولة » صدر فى هذا الشهر

ولقد رأيت فى هذين الكتابين من روعة الإنشاء ودقة الشعور والنضوج المبتسر ما أهاب بى إلى إرسال كلمة فيهما

إن المؤلف يرمى فى كتابه الأول إلى إظهار ما فى نظام الكشافة من محاسن وفوائد ، داعياً إلى تكوين فرق تعمل بهذا النظام من الشبيبة المنتسبة إلى المعاهد الأزهرية ، مستنداً فى دعوته هذه إلى أن تقوية الناشئة ، وتعويدها الصلابة والطاعة وتدريبها على توحيد الحركة والسير نحو هدف واحد فى غاياتها الأخلاقية ، إنما هى جميعاً من قواعد الإسلام الأساسية . فلا يمكن أن يعد تكوين هذه الفرق فى المعاهد الدينية بدعة أو اقتباساً لطريقة تخالف العقيدة ، أو تشذ عن التقاليد الموروثة عن السلف الصالح

ومما تجدر الإشارة إليه أن كتاب « حركة الكشف » صدر سنة ١٩٣٦ حين كان المؤلف فى السابعة عشرة من عمره ، وقد وقفت فيه متعجباً بل مندهشاً أمام هذا التسلسل فى تدوين تاريخ الكشف وتطور أساليبه وأمام هذا المنطق الرصين يقدر الحوادث ويزن أعمال الرجال ويتغلغل فى التاريخ ليثبت فضل العرب المهتدين بنور الوحى على نهضة الغرب فى تفكيره وتنظيمه

أما فى الكتاب الثانى فالمؤلف يذهب فى محاولته ذهاب من

الأصوات من كل جانب تدعو ملوك المسلمين وأمراءهم لنصرة إخوانهم الأندلسيين . ودفع عادية الأسبان عن بلادهم .

فلما لم تلق الدعوة مجيباً ، ولم يتقدم أحد من ملوك المسلمين . منفردا — بنجدة — ولا كان بينهم من الاتحاد واجتماع الكلمة — ما يجعل لهم — مجتمعين ، قوة يستطيعون بها للأندلس إنقاذا — نفذ القضاء وتم للأسبان فيها ما أرادوا .

عم الأسى ، وشمل الحزن جميع المسلمين . ففاضت ألسنة شعرائهم وخطبائهم قصائد وخطباً — لا تزال تملأ الكتب وتبعث فى النفوس أليم الذكريات — فى رثاء الأندلس ، والتفجع لمصابها ،

أما اليوم فالمسلمون يشاهدون « طرابلس الغرب » تقتطع من بين أقطارهم لتصبح إيطاليا الأفريقية، وتمحى منها آثار العروبة والاسلام لتقوم على أنقاضها صروح الحضارة الرومانية، ويستبدل بإخوانهم فيها عنصر لا يمت إليهم بصلة، ولا يحمل لهم غير البغضاء والطمع فيما يتصل من أوطانهم شرقاً وغرباً بطرابلس الغرب

يشاهدون كل هذا متفرجين ، ويقرأون أخباره فى الصحف، ولكن كما يقرأون أخبار حوادث الشرق الأقصى أو أمريكا الجنوبية ، لا يثور فيهم اهتمام ، ولا يهتز لهم شعور ، ولا ترتفع بينهم أصوات ، حتى بالاحتجاج والاستنكار

فهل ينتظرون أن يغمرها الخطب ، وحينئذ ترتفع أصواتهم ، ولكن بالرثاء والتفجع والبكاء على الأطلال — أطلال العروبة والإسلام الدارسين — فى طرابلس الغرب :

يا طالبى وحدة الأوطان هل طرقت
أبواب آذانكم ذكرى طرابلُس ؟
أيصبح العرب « طليانا » تضمهم
(روما) و (مكة) فى صمٍ وفى خرس ؟

« غزة » محمد خليفة شعبان الطرابلسى

رسخت عقيدته متعالية عن تردد المحاولين ، فيأتى بسلسلة مقالات أولها عن الصديق الصدوق يجيء فيها على وصف إخلاص أبى بكر الصديق للرسول الكريم سارداً ما حدث للأول مع عمر فيرسم أروع صورة شهدها التاريخ للوفاء والإقرار بالخطأ وإنصاف سيد المنصفين . ثم يدبج مقالاً بعنوان « محمد عبده ، النابغة الذى عاش فى وطنه غريباً » فتقع بصيرة القارئ فى هذا الفصل على الصورة الخالدة التى ستحل للامام الكبير فى روع الجيل الآتى بعدنا فترى هذا الجيل أشد إنصافاً منا نحن أبناء حقبة الانتقال وأوسع إدراكاً لعظمة أبطال النهضة وأعمق تأثراً مما لاقوا فى زمانهم من أذية واضطهاد

ويكتب الأزهرى الناشئ قطعة « أمام المحراب » بشعر منثور فإذا هى صرخة نفس تتجه إلى خالقها بإيمان يختلج له القلب ويتنبأ لرجال اليوم بتفوق رجال الغد عليهم فى إدراك عظمة العبادة ومبادئ الدين الحق

وتقرأ بعد هذه الصلاة مقالاً بعنوان « نزعة الإجرام » يقف فيه الفتى المعمم — وهو لما يبلغ العشرين من سنيه — وقفة الشيخ الحكيم ينفذ بنظراته إلى ما وراء القانون المدنى من وازع فى الشرع والأخلاق يجتث الإجرام من أصوله

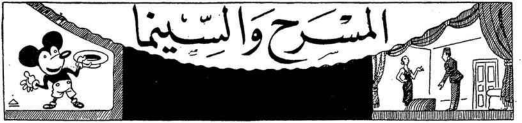
وهكذا يسير الفتى الناضج فيكلمك عن غدر الصديق وعن أيام قضاها فى رأس البر يرجع منها يعبر عن الصيانة ومكارم الأخلاق وعن أمل الحبين فى مناجاة للقمر ، كلها وصف دقيق وشعور رقيق ، وعن إصلاح الصحافة فيعرض لها فى منازعها وأحزابها وفى قوتها وضعفها . ويصور لك الفراش الدائر بالمصباح وخيانة ابنة ساطرون لأبيها فى سبيل عشقها لعدوه كسرى سابور بقصة من أروع وقائع التاريخ ، ثم يورد أسطورة الأميرة ليستغل منها عبرة التعاون بين الناس ، وينشدك بعد ذلك قصيدة عامرة يهيب فيها بالشباب للدفاع عن الوطن ثم يرسل نجواه إلى الليل فيريك كيف يتجلى النضوج فى روح الشباب إذا هو اتخذ الدجنة مركضاً للتفكير لا ستراً للمعاصى وارتكاب الموبقات ، ويوجه بعد ذلك خطاباً للمرشدات تدلك على احترام فتى مصر لفتاته ورفعه لمقامها إلى حيث أراد الشارع الأعظم ، ثم يعطف على زهرة القبور يناجيها فتى شاعراً وشيخاً مؤمناً ، فلا تدرى أيسمعك هذا الهاتف قصيدة أم ابتهالاً . ولا يفوت الشيخ الفتى أن يعقد فصلاً عن شهر الصيام يتجلى فيه الزهد والعزم قوة واحدة تجاه الحياة

وأخيراً يعرض عليك قصة عربية عن الحب اتخذ الأندلس مسرحاً لها ليعرض للحب الأسمى وللشهوة الدنيئة بتحليل رائع ، ويتبع هذه القصة بأخرى عن سرعة الخاطر عند العرب وبأسطورة عن السعادة ويختم الكتاب برواية مسرحية للأطفال .

إن العبقرية العربية تنتبه فى هذا الجيل الذى يتقدم ليحل محلنا على الذروة نحن النازلين منها إلى الأغوار .

لقد ولدت أقلامنا أقلاماً خيراً منها ، وما كان بيننا من يكتب بين الخامسة عشرة والعشرين ما تكتبه الناشئة فى نضوجها المبتسر فى هذه الأيام . فليعطف شيوخ الأدب على هؤلاء الأحفاد . إن أقلامنا ستبعث فى أقلامهم ، وصوتنا سيدوى فى أصواتهم ، حين تتحطم أقلامنا ويخرس الموت أصواتنا .

فليكس فارس



الفرقة القومية

ما هي الوسائل لاصلاح المسرح

هل من عقاب أشد وقعاً على النفس من تركك شخصاً وشأنه في المجتمع لا يأبه له أحد ولا يلتفت إليه ملتفت خصوصاً إذا كان له خطره الأدبي والاجتماعي ؟

هكذا ترك الأدباء الفرقة القومية وانصرفوا عنها لا يلتفتون إليها . فلولا كتابة مأجورة تنشرها الفرقة في بعض الصحف الأسبوعية، ولولا إعلانات عن أربع أو خمس روايات تمثل في الفصل، لكانت هذه الفرقة التي استنفدت من مال الأمة ستين ألفاً من الجنيهات أشبه بحلم يتبخر في اليقظة ، أو بعابر سبيل لا يلتفت إليه أحد.

ولما كانت غايتنا المحافظة على هذه المؤسسة الثقافية ، واستنهاض بقايا الهمة الباقية في القائمين عليها ، عمدنا أولاً للتنبيه إلى الغرض الخبيث الذي ترمي إليه إدارة الفرقة من إغضاب النقاد واستغلال انصراف الصحافة وصدوف الأدباء عنها ليقبع رجالها الأفاضل كالتماسيح المبشومة يهضمون الغنيمة على مهل ، وثانياً إلى استفتاء أدبائنا أصحاب الدراية في فن الرواية والمسرح فيما يجب عمله لإنقاذ هذه المؤسسة العزيزة على الأدباء

بدأنا بسؤال كبار الأدباء كالعقاد والمازني وغيرهما ، ولهؤلاء الأساتذة الأجلاء رأي مجمل نرجئه إلى ما بعد ، ثم سألنا الأستاذ زكي طليمات عن وسائل إصلاح المسرح ، وللأستاذ طليمات دراية نظرية وعملية لا ينكرها عليه سوى المتعنت صاحب الغرض، فأجاب :

يتكون المسرح من ثلاثة عناصر : رواية ، وممثل ، وجمهور . فإذا نشدنا الإصلاح للمسرح وجب أن نقوم بإصلاح هذه العناصر الثلاثة ، بعد أن نتبين ما هي عليه الآن ، وما كانت عليه بالأمس ، وما يجب أن تكون عليه في المستقبل

الرواية : أقامت وزارة المعارف مباريات لتأليف المسرحية المصرية بقصد ترقيتها ورفع شأن التمثيل ، فكان أن حظي المسرح ببعض روايات جيدة ، إلا أنها لم تسم بكثير عما كان شائعاً إخراجه على المسارح ولم تسفر عن المخرج الحق المرجو الذي بيده وضع طابع أصيل للمسرحية ، والذي يرجى منه خلق مدرسة جديدة في التأليف ، وعليه فإني أعتقد أن إقامة المباريات وسيلة تكميلية أهم منها حث الفرق العاملة على إخراج أكثر عدد من المسرحيات المصرية ، وذلك بتنشيط الأقلام ، وحفز النابهين من المؤلفين على الإكثار من نتاجهم ، لأن المؤلف إذا لم يجد سوقاً لرواياته تولاه اليأس وأمسك عن الكتابة . وأرى من واجب الفرقة أن تضطلع بمهمة تقديم المسرحيات المصرية قبل أية مهمة أخرى ، فإذا انحرفت عن ذلك فإنها لا تحقق الغرض من قيامها ، ولذلك أشير لترقية المسرحية المصرية أن تعمل وزارة المعارف على ترجمة نفائس الروايات المسرحية الغربية ترجمة أنموذجية وإذاعتها بين المتأدبين ، وذلك لإحياء ثقافة للمسرح نحن في أشد الحاجة إليها بحكم أننا نفتقر إلى هذه الثقافة في الأدب العربي القديم والأدب العربي المستحدث .

الممثل : فن التمثيل عامة حديث في مصر ، دخيل في الأدب العربي ، لم نعرفه باللسان العربي إلا منذ ثمانين عاماً . جاء مصر فيما جاءها ضمن موجة الثقافة الغربية التي طلع علينا بها البحر الأبيض في النصف الأخير من القرن الماضي . ومنذ ذلك الحين ونحن نباشر فن التمثيل على طريقة ارتجالية، وإن شئت قل بدائية، أعني أنها لا تقوم على قاعدة ولا ترتكز على أساس . وفن التمثيل ، أي فن الأداء كسائر الفنون الشكلية مثل النحت والتصوير وغيرها، له قواعد وأصول يجري تدريسهما في معاهد خاصة تخرج الممثلين الحاذقين بعد أن يكونوا قد أحسنوا تعرف هذه الأصول والقواعد . وإذا قلت إنه واجب على الممثل أن يتلقى أصول فنه في معهد ، فهذا لا يحجزني عن الاعتراف بأن هناك طبائع غنية بمواهبها ، خصبة بإحساساتها ، هي في غنى عن الصقل والتهذيب في

معهد أو مدرسة، إلا أن الطبيعة ضنينة بخلق هذا النفر العزيز الذى يطلع على الدنيا وهو يحمل فى روحه الطبع القوى، والذوق الصافى، والحساسية اليقظة، والصوت الجهير، واللفظ الفصيح، والإيقاع المحكم؛ وهذه هى أهم المصادر التى يصدر عنها الممثل الحق

مثل هـذا من الشواذ — والشاذ لا قاعدة له — وعليه فإنشاء معهد للتمثيل هو الوسيلة الفعالة ذات الأثر فى تكوين نشء جديد من الممثلين يجمعون إلى فيض الموهبة الطبيعية، حذق التعليم، وصقل التهذيب، وثقافة الفن

الأكثرية الغالبة من محترفى التمثيل فى مصر يقومون بعملهم على إيحاء الفطرة وهدى التجارب وما يستقر فى أذهانهم مما يشاهدونه من آثار الفن الغربى أو على الشاشة البيضاء

ومن هؤلاء طائفة احترفت فن التمثيل، لا عن عقيدة وموهبة وإنما عن حاجة، فهم عمال فن Artisans إذا خصتهم الطبيعة بشىء من الموهبة الصادقة فإن ضعف التحصيل العلمى، وافتقار الثقافة الفنية، يجعلان هذا القدر من الموهبة لا يرفع صاحبه إلى الممثل الموهوب المفتن الذى يترجم بأدائه أعمال مؤلفين نبهاء ويسمو بفكره إلى حياة سامية مثل حياة شكسبير مثلاً أو موليير أو أبسن وغيرهم

أما عنصر الممثلات فأقل شأناً من عنصر الممثلين ولا سيما فى الناحية الثقافية والعلمية. ويؤلمنى أن أقرر أن بيننا ممثلات لا يحسن القراءة، فإذا قرأن يتعثرن، وإذا كتبن فليأتين بأغرب النقوش وأعجب الخطوط

بعد هذا أرى أنه لزاماً على المهتمين بترقية المسرح أن يعملوا على إنشاء معهد للتمثيل فى معناه الكامل. وفوق هذا أرى أن ترسل بعوث إلى الخارج من خريجى هذا المعهد، لا أن ترسل بعوث من أفراد كل مؤهلاتهم صلة قرابة أو محسوبية

الجمهور: الجمهور فى مصر خليط عجيب، فيهم من يعيش بعقلية القرون الوسطى أو ما قبله، ومنهم من يعيش بعقلية عصر النهضة، ومنهم من يعيش بعقلية عام ١٩٣٩ ولكل فريق منزع خاص وذوق خاص، وهذا أمر لا نجده فى الجمهور الأوربى، فمهمة إرضاء هذه الجماهير عن طريق المسرح صعبة وعرة.

هناك نظريتان يأخذ بهما العاملون فى المسرح، الأولى الارتقاء بالجمهور إلى آفاق الأدب الرفيع، والثانية مجاراة الجمهور فى مرغوبه وممالأته فيما يريد من تملق عواطفه. حاول بعض أصحاب الفرق الأهلية أن يأخذوا بالنظرية الأولى فلم يوفقوا إلى الكسب الوافر فانحدروا إلى الجمهور، كما أخذ البعض الآخر فى بدء اشتغاله فى المسرح بالنظرية الثانية وما زال أرجوحة بين الفشل والنجاح

وسبب ذلك فيما أرى اختلاف المستوى العلمى والفكرى، والجمهور المصرى حديث العهد فى المسرح ليست له فيه ثقافة أو تقاليد، يؤم دوره بغية التسلية لا ارتجاء الغذاء الفكرى أو العاطفى. فواجب مصلح المسرح أن يعمل تدريجياً على إيجاد جمهور يحس التمثيل ويتذوقه.

* * *

— هـل قامت الفرقة القومية بواجبها فى إيجاد الجمهور والرواية والممثل؟

— الفرقة القوميـة ما برحت تتطوح وتتهادى فى عملها، ولم تستقم لها بعد طريقة خاصة أو سياسة مقصودة وذلك بحكم أنها مؤسسة جديدة تقوم بمهمة إذاعة فن جديد فى مصر، ولا أدرى ما الذى يمنعها من أن تستخلص لها خطة بعد التجاريب التى أفادتها فى السنوات الأربع التى مضت على تأسيسها.

المال لا يعجزها، ومعينها فى عطف وزارة المعارف واسع المدى، فهى بذلك تعمل فى ظروف جيدة لم يسبق لفرقة مصرية أن عملت فيها.

فمن حيث فن التمثيل لم تقدم الفرقة جديداً، لأن المشتغلين فيها عملوا على المسرح سنوات عديدة، والبعوث التى بعثت بها إلى الخارج لم تعد بعد. فلا ندرى ماعسى أن تلقاه فى هذه الناحية من توفيق ونجاح. وشأن فن الإخراج كشأن فن التمثيل

ومن حيث الرواية فإنها لم تقدم كاتباً يأبه له، وعملها فى المسرحيات المترجمة يطغى على حرصها على تنشيط المؤلفين المصريين وتشجيعهم. وهنا موضع العجب، ففى الوقت الذى يقول فيه أحد أعضاء لجنة قراءة الروايات: «إن الفكر الروائى المسرحى آخذ فى التقدم إلى الكمال، بل إلى الكمال السريع» نرى أن نتاج هذا الفكر ضئيل يتنافى مع ما يقرره أعضاء اللجنة فلا ندرى هل اللجنة أخطأت فى تقديرها؟ أم إن مدير الفرقة لا يؤمن بما تؤمن به اللجنة، وأنه لا يحب الرواية المصرية لوجه الشيطان...؟

أما من حيث الجمهور فقد أخفقت الفرقة إخفاقاً تاماً فى اجتذاب أى طبقة من طبقات الجمهور فى مصر، ولو اقتصر معينها المادى على إيرادها من جيوب الجمهور لما استطاعت أن تصمد شهراً واحداً

ابن عساكر